هيلين كيلر

الإعجاز والإنجاز

مقالات فى فلسفة الحياة والتربية والثقافة

نقلها إلى العربية

أ.د/ السيد محمد دعدور أ.د/ محمد حسن المرسى

أ/ نجلاء السيد سليم

عالم الكتب

دعدور ،السيد محمد .
هيلين كيلر الإعجاز والإنجاز : مقالات فى فلسفة الحياة والتربية والثقافة / ترجمة السيد دعدور، محمد المرسى، نجلاء سليم . - ط 1 . - القاهرة : عالم الكتب ، 2009
152 ص ؛ 24 سم
تدمك : 9 -727 -232- 977
1- المقالات الامريكية
أ- المرسى، محمد (مترجم مشارك)
ب- سليم، نجلاء (مترجم مشارك)
ج- العنوان 824

عالم الكتب

نشر. توزيع . طباعة

❖ الإدارة :
16 شارع جواد حسنى - القاهرة
تليفون : 23924626
فاكس : 0020223939027

❖ المكتبة :
38 شارع عبد الخالق ثروت - القاهرة
تليفون : 23926401 - 23959534
ص . ب 66 محمد فريد
الرمز البريدى : 11518

❖ الطبعة الأولى
1430 هـ - 2009 م

❖ رقم الإيداع 2009/ 9704

❖ الترقيم الدولى I.S.B.N
977- 232- 727-9

❖ الموقع على الإنترنت : WWW.alamalkotob.com

❖ البريد الإلكترونى : info@alamalkotob.com

مطبعة أبناء وهبة حسان
٢٤١ (أ) ش الجيش - ميدان الجيش
ت : ٢٥٩٢٥٥٤٠

إهـــداء

- إلى قيثارة مقطعة الأوتار، أشجت الدنيا بألحان خالدة.
- إلى قطرة الأمل التي فاضت على البشرية أنهارا للعطاء، وأبوابا للرجاء.
- إلى الزنبقة البرية التي نبتت في صحراء الوحدة والعزلة؛ فلم تستسلم لهجيرها اللافح، واتخذت من إيمانها وصبرها ويقينها زادا أحال وهاد الأحزان والكآبة أملا وعملا، وألقا وعبقا، وعطرا وعبيرا.
- إلى الأنامل الرقيقة حينما تغدو عيونا مبصرة، وآذانا واعية، وألسنة تتفجر بالحكمة، وتشدو للجمال.
- إلى المعجزة الإلهية " هيلين كيلر" وإلى المعلمة الملهمة "آن سوليفان".
- وإلى كل قاهر للإعاقة، لم يخفه تيارها، ولم يجرفه خضمها.

فريق العمل

Excerpts and Poems by Helen Keller Courtesy
Of the American Foundation for Blind
Helen Keller Archives

مقدمة :

يأتى هذا الكتاب نبراسا مضيئاً ، ونوراً هادياً ، وأنموذجاً فريداً للبشرية عامة ، ولمتحدّى الإعاقة ومعلميهم خاصة .

ففى خضم الأحداث الجسام التى تمر بأمتنا ، والأزمات التى طالت العالم أجمع، يحتاج الناس لملهم يقتدون به ، وأنموذج للإصرار والعزيمة والتحدى يتمثلونه؛ فاجتمعنا - نحن فريق العمل - وتركزت رؤيتنا بعد أن تشاورنا وقرأنا ، وزرنا مواقع عديدة على شبكة المعلومات ، وشاء الله أن نعثر على كنز أدبى ثقافى تربوى ، سجل فى شكل مقالات وقصائد ، وكانت الدهشة البالغة أن صاحبته هى (هيلين، كلير) تلك الفتاة الكفيفة الصماء البكماء التى تحولت بانتصارها على المحن والآلام وفقد الحواس، إلى أسطورة تلهم الناس كل الناس الصبر والمثابرة والإصرار ، محققة إعجازا فريدا فى تاريخ البشرية .

فاجتمعت كلمتنا على ضرورة ترجمة أعمالها ، وإيصال ندائها وأملها إلى قراء العربية؛ فتوفرنا على قراءته وتمثله ومعايشته؛ ومن ثم ترجمته وتعريبه إلى اللغة العربية، باذلين الجهد قدر الطاقة أن تأتى الترجمة أمينة صادقة ، وفى أسلوب مبسط ومباشر ، ولم نقصد فى ذلك إلا الخير الذى عاشته ، والعطاء الذى كانته ، والتفاؤل الذى مثلته ، والأمل الذى رسمته ، والقيم التى دعت إليها ، والسلام الذى ناضلت من أجله .

وهل هناك إعجاز أروع من إنجاز طفلة فقدت بصرها وسمعها ، وبالتالى فقدت كل أشكال التواصل مع عالمها الذى فرض عليها قيودا ثقيلة من الوحدة والظلام والوحشة ، وبقنديل الإيمان الذى لا يخبو نوره ، وبرافد الإصرار الذى لاينضب معينه، أحالت ظلمتها نورا أضاء للبشرية ، وهدى حتى الأسوياء المبصرين ، وتمثل ذلك فى إرث أدبى ، وزاد ثقافى ، ووصايا تربوية ، لعلها فى يومنا هذا تمثل الحداثة والتجديد ، فقد دعت إلى القراءة الذكية القائمة على التبصر وإعمال العقل ، كما دعتنا جميعا إلى الاستمتاع بالجمال الناطق فى كل ما صنعته يد الله ، ذلك الجمال الذى يحمل توقيع الخالق الذى لا شبهة فيه ، كما دعت إلى استغلال الوقت والتخطيط ،

وإلى مكارم الأخلاق ممثلة فى التسامح والمحبة والحوار والسلام واحترام إنسانية الإنسان ، كما عالجت قضايا اجتماعية وثقافية واقتصادية وتربوية عديدة .

وقد توجت (هيلين) هذا الزاد الثقافى - الذى قدمنا ترجمة له فى هذا الكتاب - بمقطوعات شعرية فى لغة محلقة ، ومفردات مأنوسة ، وصور شديدة الروعة ، بالغة التأثير .

وفى النهاية ، ما كان هذا ليحدث لولا الجهد المتفانى ، والعطاء غير المحدود ، لمعلمتها (آن سوليفان) التى نذرت نفسها ، وضحت بقواها ونور عينها ؛ لتقدم للبشرية هذه المعجزة ، التى علمتنا جميعا أن الإصرار والمثابرة كفيلان بتحويل الظلام والوحدة والوحشة ، نوراً وسكينة وهداية للبشرية جمعاء .

سلام على كل متعلم تواق لنور المعرفة ، وسلام على كل معلم يعطى من إيمانه وذاته، فبهما وحدهما تنهض الأمم ، وتتحقق الآمال ، وتتقدم البشرية .

والله من وراء القصد . . .

فريق العمل

الفهرس

إهـــداء ٣
مقدمة ٥
«هيلين» كيلر .. المعجزة والأسطورة ٩
من أقـــوال «هيلين» كـيلر ١٥
القـراءة الذكـيـة ١٦
هيا بنا نصنع الجمال ١٨
للطقس جماله ، مهما كان حاله ٢٠
السماوات فى يونيو ٢٢
سحر الأصابع ٢٥
مستقبلى كما أراه ٢٨
هل نحن ممن يهدرون الوقت ٣٣
هذا ما أؤمن به (حديث ل«هيلين» كيلر) ٣٥
نستطيع أن نفعل المزيد ٣٧
عالمى المستنير ٤٠
لو أبصرت ثلاثة أيام ٤٤
ابحث عن السبب ٥٥
يوم عيد الميلاد هو يوم الأطفال ٥٨
الاختيار العظيم ٦١
العودة إلى الدراسة ٦٣
إلى الفتيات الذاهبات إلى الجامعة ٦٥
اكتشاف الطريق ٦٩
نساء أمريكيات عظيمات ٧١
المرأة والسلام ٧٤
البطولة ٧٧
الأحلام التى تصبح حقيقة ٨١

أدخلى زوجك المطبخ ٩٠
الآنسة كيلر تحتفى بمتيح الإبصار ١٠١
نماذج من الأعمال الشعرية ١١١
فى حديقة المولي ١١٣
أنشـــــودة الظلام ١١٥
أغنية حائط الحجر ١٣٢
تعليق عابر ١٣٩

« هيلين » كيلر .. المعجزة والأسطورة

هى قصة إنجاز أقرب إلى الإعجاز ، وأشبه بالأسطورة ، حفرت سطورها عزيمة لا تعرف اليأس ، وإرادة لا تعترف بالمستحيل ، إنها أعظم درس فى التربية ، وأروع مثال على الحوار التفاعلى بين أنجب متعلمة « **هيلين** » وأمهر معلمة السيدة « **آن سوليفان** » .

تبدأ هذه القصة فى ٢٧ يونيو عام ١٨٨٠ ، حينما ولدت الطفلة « **هيلين** » **كيلر** فى مدينة « **تاسكومبيا** » بولاية « **ألاباما** » الأمريكية ، لأب كان يعمل محاربا فى أثناء الحرب الأهلية آنذاك ، ثم أصبح فيما بعد مالكاً لإحدى الصحف ، وبعد أشهر معدودة من مولدها مرضت مرضاً شديداً حار فيه الأطباء ، واعتقد أبواها أنها تحتضر ، ولكنها لم تمت ، وإن كان المرض قد أفقدها أهم حاستين منحهما الله للبشر هما : السمع ، والبصر ، وأصبحت طوال حياتها سجينة الظلام الدامس ، وأسيرة السكون الرتيب ، لا تجرى ولا تلعب مثل بقية الأطفال ، كما أن عجزها المزدوج كان يجعلها تصطدم بالأشجار وسياج الحدائق وكل ما يمر بها فتسقط أرضا ، وربما كانت تجرح نفسها ، وخلفت الإعاقة الشديدة فتاة عنيفة عدوانية تحطم ألعاب أقرانها من الأطفال ؛ فكانوا يخافونها ، ويتجنبون الاقتراب منها .

ونتيجة فقدانها لأدوات الاستقبال اللغوى : السمع والبصر ؛ أصبحت بكماء لا تنطق ولا تتكلم ؛ لأنها لم تكتسب اللغة من الآخرين ولم تقلدهم ، ولكن ذكاءها كان ملحوظا ، فبعد سنوات تعلمت سريعاً كيف تسير داخل المنزل وخارجه ، وأصبحت تستخدم الدفع والجذب لغة خاصة بها ، تحمل معنى تعال و اذهب ، كما كانت تستطيع أن تعبر بالإشارة عن جوعها أو عطشها ، ولكنها انعزلت تماما عن عالم اللغة ، بل لم تكن تعلم أن البشر يستخدمون لغة منطوقة للتفاهم فيما بينهم ، وأنى لها

ذلك ! فلقد كانت اللغة بالنسبة لها اهتزازات تعبر عن وصول العربة التى يجرها الحصان ، أو لمسات تعنى أنا أحبك ، أو وكزات تعنى هذا خطأ.

وفى صبيحة أحد الأيام حينما بلغت السادسة ، اقتادها والداها إلى محطة القطار، حيث أقلهم القطار الذى تعرفت عليه من اهتزازاته ، لقد كانت الرحلة متجهة إلى «**بلتيمور**» بولاية «**ميريلاند**» حيث يوجد طبيب شهير ، سبق وأدى مساعدات جليلة للعديد من الأطفال المكفوفين ، وكان الأبوان يمنيان نفسيهما بأن يكون فى استطاعة الطبيب مساعدة الطفلة الصغيرة . ولكن الطبيب الماهر أخبرهما بأنها ستظل طوال حياتها كفيفة وصماء ، ولكنه أوضح لهما أنها تتمتع بقدر كبير من الذكاء، وأوصاهما بالذهاب إلى العالم الكبير «**ألكسندر جراهام**» بل الذى اخترع الهاتف ، فلربما استطاع أن يقدم لهما المشورة ؛ فذهب الأبوان إلى مدينة «**واشنطن**» قاصدين دكتور «**بل**» الذى قضى سنوات عديدة فى مساعدة الصم . ثم أوصى دكتور «**بل**» الأبوين باللجوء لمدرسة «**بركنز**» للمكفوفين فى «**بوسطن**» بولاية «**ماساتشوستس**» حيث استطاع دكتور «**هاوى**» أن يعلم فتاة كفيفة وصماء مثل «**هيلين**» الكلمات عن طريق كتابة الحروف بأصابعه على راحة يد الفتاة بإحدى يديه ، ويعينها باليد الأخرى على اكتشاف طريقة نطق كل حرف ، وطلب دكتور بل منهم أن يرسلوا إلى دكتور «**أناجنوس**» – الذى خلف دكتور «**هاوى**» بعد وفاته – كى يرسل إليهم من يعلم «**هيلين**» بتلك الطريقة .

وبعد عدة أشهر ، وفى أحد أيام الربيع شعرت «**هيلين**» بوقع أقدام شخص غريب داخل المنزل ، ودفعها فضولها أن تتحسس جسده ووجهه وملابسه ، لقد كانت امرأة لطيفة لا تفارق الابتسامة وجهها ، ثم وجدت هذه السيدة تقدم لها دمية ، وفهمت من إشارتها أن تلك الدمية هديتها لها . ثم لا حظت أنها استخدمت أصابعها بشكل غريب على راحة يدها ، ولم تكن «**هيلين**» تعلم وقتها أنها تتهجى أحرف الكلمة دمية وكانت هذه الإشارات أول حصة قدمت فيها الآنسة «**آن سوليفان**» درساً لتليمذتها «**هيلين كيلر**» ورغم فشل المحاولة إلا أنها كانت البداية .

واستمرت «**آن سوليفان**» فى تقديم الدروس «**لهيلين**» بالطريقة نفسها مع كلمات مثل الكعكة واللبن ، ولم تكن «**هيلين**» تدرك ما المقصود بالإشارات الموجهة

إليها بالأصابع فوق راحة يدها ، وكانت «**سوليفان**» تعتنى أيضا بتهذيب سلوكيات «**هيلين**» التى كانت تتصرف بغوغائية ، ولم يكن الأمر باليسير على «**آن سوليفان وهيلين كيلر**» معاً ، وفى أحد الأيام ألقت «**هيلين**» بدميتها على الأرض بقوة ؛ للتعبير عن غضبها فتحطمت ، وشعرت آن بالإحباط فتوقفت عن إكمال درس هيلين وذهبت بها للتنزه خارج المنزل ، وتوقفتا لتشربا من صنبور الحديقة ، وهنا حدث شىء غير مجرى حياة «**هيلين**» ، فلقد وضعت آن يد «**هيلين**» فوق المياه ، وتهجت على يدها الأخرى كلمة مياه ، ثم ظهر تعبير غريب على وجه «**هيلين**» وكأنما أدركت شيئا ما ، وبدأت تتهجى بفمها أحرف كلمة مياه مرات ومرات ، ثم أشارت بأصبعها إلى الأرض ، فتهجت لها «**آن**» كلمة الأرض فوق راحة يدها ، وقفزت «**هيلين**» فى الهواء فرحة ؛ لأنها أخيراً فهمت الدرس الذى يقدم لها ، ثم أشارت بيدها إلى آن فكتبت لها المعلمة وأشارت إلى نفسها فكتبت لها آن «**هيلين كيلر**» وانفرجت أسارير «**هيلين**» فلأول مرة أيقنت أن لها اسماً ، ولم تترك «**هيلين**» فى ذلك اليوم أى شىء دون أن تسأل آن عنه فتجيبها بأصبعها كاتبة لها هجاءها ، وكان يوما غير عادى فى حياة «**هيلين كيلر**» والتى قالت عنه بعد مرور سنوات عديدة : لقد ولدت مرة أخرى فى ذلك اليوم، لقد كنت شبحاً فى العالم المظلم ، أما الآن فأنا أعرف أن لى اسما ، وأنى إنسان، أستطيع الآن أن أفهم الناس وهم يستطيعون فهمى .

أخيراً وجدت «**هيلين**» اللغة التى تتفاهم بها مع العالم ، إنها الآن تستطيع أن تستخدم لغة تفاهم مشتركة مع من حولها ، وأخذت حصيلتها اللغوية فى التنامى ، وأخذت «**آن سوليفان**» تعلمها من شتى المعارف ، واستخدمت البيئة المحيطة بها كوسائل تعليمية ، فمثلا كانت تضع البرتقالة فى يدها وتجعلها تتحسس استدارتها ؛ كى تشرح لها أن الأرض مستديرة ، وكانت تضع البيضة فى يدها حين يخرج منها الكتكوت الصغير ، وكانت تضع لها قطعة الفلين فى المياه لترقب بيدها عملية الطفو ، وخلاصة الأمر أن «**آن سوليفان**» جعلت من «**هيلين كيلر**» شخصاً مثقفا .

ثم أتى يوم آخر يعتبر فارقاً فى حياتها ، وذلك حينما بدأت «**آن سوليفان**» تعلم «**هيلين كيلر**» طريقة «**برايل**» فى القراءة ، وتلك الطريقة ابتدعها شخص كفيف هو «**لويس برايل**» وهى عبارة عن نقاط بارزة يستطيع الشخص الكفيف أن يتحسسها ؛

فيفهم منها الحرف المقصود وبالتالى الكلمة ثم الجملة ، وعندما قرأت «**هيلين**» بطريقة «**برايل**» «كلمة» «كلب» جرت نحو كلبها وأمسكت بمخالبه وجعلته يلمس الأحرف ، وباستخدام طريقة «**برايل**» عشقت «**هيلين**» القراءة وتأثرت فى ذلك بشدة بمعلمتها «**آن سوليفان**» التى كانت تدفعها للقراءة دفعاً ، وكانت آن نعم المعلم المثابر.

ثم التحقت «**هيلين**» بمعهد «**بيركنز**» وبدأت تتلقى دروساً نظامية مختلفة من معلمين مختلفين ، ولكن بقيت «**آن سوليفان**» معلمتها المفضلة ، وأصبح لها أصدقاء من عمرها لأول مرة ، فكانت تلعب معهم ويتحدثون سويا بالأصابع فوق كفوف الأيدى ، وأصبحت «**هيلين**» قادرة على أن تتكلم جملة كاملة مفيدة ، وعندما حان موعد الإجازة الصيفية ، أخذت وهى فى طريقها إلى «**ألاباما**» تتدرب بداخل القطار على جملة الترحاب التى ستوجهها لأسرتها مرحبا أبى وأمى مرحبا «**ميلدريد**» (أختها الصغيرة) ، وحينما التقت كلبها وشعرت به قالت له : تعال هنا يا «**بل**» فأخذ يشم رائحتها ويلعقها فقالت بسرور والآن يستطيع بل أيضاً أن يفهمنى.

وعندما بلغت «**هيلين كيلر**» الرابعة عشرة من عمرها التحقت بمدرسة «**رايت هوماسون**» بنيويورك وكانت «**آن سوليفان**» معلمتها المحبة تجلس إلى جوارها لتتهجى لها شرح معلم الفصل الدراسى . وكان دكتور «**هوماسون**» يعطى دروسا فى الحديث وكيفية قراءة الشفاه ، ومن ثم أصبحت «**هيلين**» قادرة على أن تضع يدها فوق شفاه المتحدث فتفهم ما يقوله ، وفى تلك المدرسة تعرفت «**هيلين**» على صديق جديد وهو الكاتب الكبير «**مارك توين**» الذى كان يبهجها بسرد قصصه اللطيفة عليها، وكان يسعد حينما تضحك ، وكان يقول إننى حاضرت لآلاف من المستمعين ولكن «**هيلين كيلر**» أفضل مستمع لى .

وطلب منها «**مارك توين**» أن تلتحق بالجامعة ، فأخبرته بضيق ذات يد والدها وبأنها لا تستطيع أن تثقل عليه ؛ فساعدها بجمع التبرعات لها كى تستطيع أن تلتحق بالجامعة ، وهناك تعلمت أن تستخدم الآلة الكاتبة العادية ؛ لتستطيع أن تقدم التكليفات التى يطلبها منها أساتذتها ,وكان يسمح «**لآن سوليفان**» أن تحضر معها فى غرفة الامتحانات حيث كانت تتهجى لها السؤال ثم تقوم «**هيلين**» بكتابة الإجابة على الآلة الكاتبة العادية . وأحب «**هيلين**» زملاؤها فى الفصل وانتخبوها نائب رئيس

الفصل ، وتفوقت «**هيلين**» فى اللغة الإنجليزية بخاصة ، ثم تعاقدت معها إحدى المجلات على أن تكتب لها قصة حياتها ، وكانت هذه أول مرة تعمل فيها وتحصل فيها على أجر ، وتلقت دروسا فى فنون الكتابة من أحد المعلمين وهو «**جون ميسى**» الذى أصبح صديقا ورفيقا «**لهيلين وآن**» بل إنه تزوج «**آن سوليفان**» بعد فترة من الوقت .

ثم تخرجت «**هيلين**» فى الجامعة فى يونيو ١٩٠٤ بمرتبة الشرف وكأنما تخرجت معها «**آن سوليفان**» التى بدأت عيناها تضعفان ويكثر بهما الاحمرار من كثرة القراءة «**لهيلين**» ، ولكن سعادتها لم تكن توصف حينما شاهدت «**هيلين**» وهى تتسلم الشهادة الجامعية .

وبعد التخرج فكرت «**هيلين**» ومن حولها فيما يجب أن تفعله بعد ذلك ، ونصحها الكثيرون أن تعمل معلمة «ولكنها اختارت أن تعلم الناس كيف يتعاملون مع الحاجات الخاصة للأطفال المكفوفين والصم ، وكانت تقول أريد أن أعلم الناس ما تعلمته من «**آن سوليفان**» ، وبعد تلقيها دورات تدريبية صوتية ؛ كى تحسن من طريقة حديثها بالشكل الذى يمكن الناس من فهم ما تقوله ، بدأت «**هيلين**» و «**آن**» تتنقلان من مكان لآخر ، وتلتقيان بآلاف المستمعين الذين كانوا يأتون شوقا للاستماع إليها . وكانت فى تلك الأثناء تكتب المقالات وتنشرها فى المجلات فى شكل أدبى نترك للقارئ الحكم على جودته ، وتأمل براعة هذه المعجزة ، كاتبة وأديبة لم تر الدنيا برهة ، ولم تسمع منها همسة .

واستمرت «**هيلين**» فى عملها كاتبة ومحاضرة ، وأخذت تشارك فى الأعمال الخيرية والأنشطة المجتمعية التى تخدم المكفوفين والصم «ثم اشتركت فى تمثيل فيلم يحكى قصة حياتها ، وكم كانت تجربة مثيرة بالنسبة لها ، ثم بدأت هى و «**آن سوليفان**» يمثلان سويا على المسرح فى شتى أنحاء الولايات المتحدة ؛ كى يتربحا مالاً يعيشان منه ، ثم بدأت «**هيلين**» تعمل لصالح مؤسسة حديثة أنشئت لرعاية المكفوفين هى « **المؤسسة الأمريكية للمكفوفين**» .

وفى عام ١٩٣٦ وبعد أن قضت «**هيلين**» مع «**آن سوليفان**» قرابة الخمسين عاماً بلغت «**آن سوليفان**» السبعين من عمرها وكل بصرها ، ولكنها كانت سعيدة بأن

بصرها يسمح لها برؤية النجاحات التى تحققها تلميذتها «**هيلين**» وما لبثت أن اشتد بها المرض ، ولقيت نحبها فى يوم قالت عنه «**هيلين**» إنه أسوأ أيام حياتها ، وعبرت عن ذلك قائلة : لقد انطفأ نور فى حياتى ، وأبداً لن يشرق من أجلى مرة ثانية

وأصبحت «**هيلين**» شخصية دولية وبدأت تجوب أرجاء الأرض ، وتزور دولاً عديدة ، وكانت تلقى حفاوة بالغة فى كل مكان ، واستمرت رمزاً للإصرار البشرى، وآية من آيات الله ، حتى وافتها المنية فى عام ١٩٦٨ عن عمر يناهز ثمانية وثمانين عاما ، وحتى وفاتها ظلت وفية لمعلمتها ، ويتبدى ذلك فيما ذكرته فى الكتاب الذى كتبته عن قصة حياة «آن سوليفان» قائلة :

معلمتى . . لقد كان هذا كل شىء . .

ستكون هذه إجابتى فى غياهب الظلمات

حينما يناديني الموت .

والآن عزيزى القارىء ، لقد حان دورك أن تقرأ وتتفكر وتتأمل فيما أبدعته ريشة الكفيف ، وتستمع وتستمتع بما أنشدته آذان صماء .

من أقـــوال « هيلين » كيلر

المصدر : الشبكة الدولية للمعلومات

- إذا ما أغلق باب للسعادة ، فتح باب آخر ، ومن عجب أن نظل محدقين فى الباب المغلق ؛ فلا ترى أعيننا الباب المفتوح .

- الأمن مخلوق خرافى ليس له وجود ، والحياة إما أن تكون مغامرة جريئة أو لا تكون حياة .

- إن تحاشى الخطر لا يعنى عدم التعرض له مستقبلا ، فالخائف والجسور فى قبضة الخطر سواء .

- أنا مجرد إنسان واحد ، وسأظل واحدا ، وأنا لا أستطيع أن أعمل كل شئ ، ولكن يمكننى أن أقوم بعمل بعض الأشياء ، ومادمت لا أستطيع القيام بكل شئ ؛ فلن أرفض أن أقوم بعمل الشيء الذى أستطيع أن أؤديه .

- عندما نقوم بعمل أفضل ما لدنيا فقط ؛ فلن نعرف معنى حدوث المعجزات فى حياتنا ، أو فى حيوات الآخرين .

- لا يوجد أى ملك لم يكن بين أسلافه أحد العبيد ، ولا يوجد عبد لم يكن بين أسلافه أحد الملوك .

- نستطيع أن نفعل أى شيء نريد تحقيقة إذا ما صبرنا وأصررنا على طلبه وقتا كافياً .

- ما نفعله فرادى شيء قليل ، وما نفعله معا عمل جليل .

- التسامح أسمى رسالة يمكن للتربية أن تؤديها .

- مستحيل أن تضمحل الحضارة وفى المجتمع شباب يعيش ، ربما كان الشباب عنيدين ولكنهم الأمل فى استمرار الحضارة .

القـراءة الذكية Intelligent Reading

المصدر : مجلة المنزل عدد يوليو ١٩٣٣

إن الرجال والنساء كثيراً ما يقرؤون بذهن مشتت ، وقد تتمثل هذه القراءة فى القراءة الرتيبة للصحف والمجلات ، ولكنك إذا تحاورت مع القارئ فيما قرأ ، فإنك تجد أنه لم يتمثل مما قرأ إلا القليل ، فنحن نتناول الصحف والمجلات بشهية مفتوحة نحو الأخبار التى ترضينا ولكننا قد لا ندرك تسلسل قراءتنا لتلك الأحداث أو علاقتنا بها ، فنحن نلتقط تعليقات أو آراء غير مترابطة ؛ ومن ثم فنحن ننتقل بينها بغير نظام أو ترتيب .

لقد قابلت العديد من النساء اللواتى يقرأن بنهم ، ولكن تلك القراءات تبدو لى أنها تخضع لمدى اهتمامهن بالموضوع أكثر من أهمية الموضوع فى حد ذاته ، وهذا النوع من القراءة يحيا وقتياً ولكنه مهلك على طول المـــدى ، ويشير جون ويســـلى " John Wesley "إلى هذا النمط من القراءة بأنه تدمير وتدليل غير صحى للذات ، فمن المؤكد أنه لا ينتج إلا عقولاً تفتقر إلى المعرفة الضرورية ، التى ينبغى أن تنتقل للأجيال الأصغر.

يجب أن تكون قراءاتنا لأغراض واضحة ويحكمها نوع ما من النظام ، ويلزم أن نقرأ من أجل التفاهم والتسامح ، والإلمام بالقيم التاريخية ، ولإصدار أحكام ناقدة ، فإذا ما قرأنا مقالة ما أو أى كتاب ثقافى بعناية فينبغى أن نحاول أن نطبق ما قرأناه فى مواقف الحياة وسير الأحداث .

مهما كانت الأحداث ، فالقراءة الصحيحة التى يحكمها العقل المتفتح يمكنها أن تظهر لنا أسباب سقوط الإمبراطوريات العظمى والكيفية التى سقطت بها، والتغييرات الحكومية ، والأحداث التى تؤدى إلى تبسيط أسباب الحياة ، أو التى تؤدى إلى رفاهية أطفالنا ، كما يمكنها أن تجعلنا فى موقف نستطيع من خلاله أن نقاوم فتنة الشر ونستفيد من الخير المأمول ، فالأسئلة التى تحيرنا وتربكنا وتذهلنا الآن هى بعينها الأسئلة التى جالت بذهن كل الحكماء من البشر.

وإذا حاولنا أن نصدر حكماً ما حول إحدى الأزمات ، التى نمر بها الآن ، فلن يكون من المفيد أن نقول : رياه ، إننى لم أفهم ، أو لقد حدثت أشياء كثيرة ولن أستطيع أن ألاحقها ، وعلى أية حال ، فماذا أنا بفاعلة إزاء تلك الأحداث ؟ إذا لم يكن هناك من يخبرنا عن طريق ما نقرأ فسوف نكون فى عداد أولئك الذين يمتلكون أعيناً لا يرون بها ، وآذانا لا يسمعون بها.

ربما نعطى أنفسنا مجرد دقائق معدودة كى نقرأ فيها كل يوم ، ولكن تلك الدقائق من شأنها أن تقودنا عبر عواصف الأفكار والمعايير المتضاربة ، وتحمينا من قسوة بعض الإحباطات ، كما أنها ستكشف لنا عن بعض الزيف المهلك الذى يحاصر حضارتنا وحياة أمتنا ، ويعصف بها تماماً كما تفعل الأنانية ، إن أذى الرغبة فى التفكير يشابه تماماً أذى الرغبة فى امتلاك قلب .

إن أى إنسان يقرأ بإمعان لا يمكن أن يظل هو هو بعد أن ينتهى من قراءته. ، وسيندم بلا شك ؛ لأنه لم يعرف المزيد ، ولا يكون ذلك بالنسبة له إلا مجرد بدء للرؤية ، التى تجعل الأفراد والأمة تعيش فى فيض الروحانية .

إن العديد من الرجال العظماء فى عصرنا هذا ، الذين برعوا فى مجال العلوم والطب والاكتشافات تلقوا إلهامهم من نصوص قرائية جيدة ، والأعمال والمثابرات التى قام بها الآخرون ، الذين قدموا أفكارهم من أجل تقديم خدمات جليلة للمجتمع قد صنعت لهم أمجادا .

أما القراءة التى تعد قراءة بالفعل ، فهى تلك التى تربط بين العقل وطبيعة الأشياء ، والقراءة الذكية تجعلنا مثل الطريق المعبد الذى تخطو فوقه أقدام أبنائنا ، والمصباح الذى تهتدى به تلك الأقدام .

هيا بنا نصنع الجمال Let us Create Beauty

المصدر : مجلة المنزل عدد مارس ١٩٣٢

أعتقد أننا لو قمنا ببعض المشغولات اليدوية فى أوقات فراغنا ؛ سنصبح أكثر سعادة ، فهناك أنواع عديدة من أعمال التطريز والغزل والمشغولات الجلدية والنحاسية ، التى يمكن أن نتقنها ، ولدى شعور أكيد بأن تلك الأعمال سوف تكون أكثر متعة من قيادة متهورة لإحدى السيارات ، وسوف تكون أعمالا نستطيع أن نضيف إليها روح اللعب والمرح ، وهذا ما نحتاجه بكل أسف فى عصر الميكنة والرتابة الذى نحياه .

إن أفضل عمل نقوم به هو الذى نتذوق فيه متعة الابتكار ، ونشعر بأن هذا العمل جزء من أنفسنا ، أو أنه طفلنا الذى نفخر بتقديمه للآخرين. لقد أجبر ميلى "Millet" على أن يرسم علامات الطريق حتى يكسب قوته اليومى ، ولكن لم يكن هذا أفضل أعماله ، ففى بيته وأثناء فراغه رسم إبداعاته الفنية صلاة التبشير "Angelus" وعمال الحصاد "Gleaners" لمجرد حبه للرسم.

ولسنا جميعاً موهوبين مثل ميلى ولكنى أعتقد أننا إذا قمنا بمجرد محاولة ؛ فسوف نندهش عندما نكتشف تعدد اللمسات الجميلة التى نستطيع أن نسهم بها ، حتى وإن كانت أعمالاً نثرية تصف ما نقوم به.

إذا استطعنا أن ندرك القوى الفردية التى بداخلنا لصناعة أشكال ووضع ألوان ؛ فسيكون لدينا إحساس بهيج بجمال الأشياء التى نألفها ، والأعمال المصنوعة يدوياً مصبوغة بالصبغة الفردية ، وتحمل الحميمية بين طياتها ، وتلك الخاصتان غير موجودتين فى المنتجات المتقنة التى تقوم بها الماكينات.

إن الأشياء التى نقوم بها بأيدينا تساعدنا على النمو ، فالطريقة المثلى لتدليل الطفل أن تقوم بعمل كل شئ له ، فمن منا لم يلحظ أننا كلما تركنا الطفل بمفرده ، فإنه يقوم دائماً بعمل شئ ما إنه ماكينة صغيرة ، تزين الحياة وفق خيالها.

هيا بنا نتعلم من أطفالنا ، ونهب لنعمل أشياء بأيدينا لمجرد الاستمتاع بذلك ، فصناعة الأشياء تفتح العقل تماماً كما تتفتح الزهور بصورة طبيعية ، عندما تمتص

الطعام من التربة.

وتتغير أشكال الحياة من زمن لآخر ، ولكن الحاجات الأساسية للإنسان لا تتغير أبداً ، ويجب أن نعطى الفرصة لأنفسنا بكل الطرق ؛ حتى نبتكر ونحاول أن نطور إحساسنا باللون والشكل والتصميم، ولكم أنا شغوفة لأن أعرف سبب سعادتنا بالأشياء التى نصنعها بأيدينا،فكل الأعمال اليدوية السليمة جميلة وتشكل مصدراً للسعادة ، أما الأعمال التى ليس بها سعادة فهى أعمال الرق والعبودية.

غالباً ما نقول بأننا نحب أن نقوم بتلك الأشياء الجميلة ، إذا لم تكن بسبب الرغبة الملحة لكسب قوت الحياة ، ولكن دائماً هناك ساعات أو أنصاف ساعات يمكننا فيها أن نفكر بعيداً عن ضراوة الحياة ، ونجد الراحة فى التعبير عن أنفسنا ، جميل جداً إذا كان لزاماً علينا أن نتنفس فى الحياة تنفساً يعبر عن حيوية الشخصية.

إننا منقادون نحو التفكير ملياً فى الأشياء والأعمال العظمية ، التى ابتعدنا عنها، وبسبب هذا البعد جف النبع فى أرواحنا ، فلقد هبت رياح فنون المحترفين ، وعندما ننظر بأعيننا – التى تبصر – إلى الأشياء المألوفة فسوف نكتشف أن بها سحر الشعر وروعته .

وربما نضحك من الأعمال الوجدانية والنثريات التى قام بها أدباء العصر الفكتورى ، ولكنهم عرفوا وأحبوا جمال الأشياء المألوفة.

إن الحياكة والنسيج من الفنون الأصيلة ، فمنذ قديم الزمن كان النسيج الفن المثالى للشعوب ، ولا يزال النسيج يثير الإعجاب حتى بعد آلاف السنين ، ذلك لأنهم نسجوا إيمانهم وأشعارهم وحبهم للزهور والطيور ، ولقد كان للنسيج تأثيراً كبيراً على المرأة ، فلقد جعل أصابعها مشغولة دائماً ، وخفف من حركاتها ، وحرر من أفكارها حينما كانت تتجول بخاطرها ، أو تستريح فى عمل محبوب لها.

يمكن للأمهات والأخوات والمعلمات أن يقدمن الكثير الآن وفى هذا المكان ، حينما يعملون على تنمية ميول الأطفال الطبيعية نحو الرسم أو القيام بأية مشغولات يدوية أخرى ، وإذا تم ذلك فسوف ينمو جيل يمكن إضفاء السعادة عليه بصورة أسهل، جيل لديه حكمة أكثر ، فى فن البقاء سعيداً.

للطقس جماله ، مهما كان حاله All Weather is good weather

المصدر : مجلة المنزل عدد مارس ١٩٣٤

أعتقد أننا نتحدث عن الطقس فى شهر مارس أكثر من حديثنا عنه فى أى شهر آخر ، فنحن نذكر أبريل بالأمطار ، والصيف بالحرارة والظمأ ، والشتاء بالصقيع والجليد ، لكن الأمر مختلف تماماً فى حالة شهر مارس ؛ فمارس بدء لفصل الربيع ، ونحن بكل تأكيد نعرف أن أخصائى الأرصاد الجوية ينوه بأن بداية فصل الربيع تكون فى ٢١ مارس ، ولكننا نميل إلى إنكار تلك الحقيقة ، ونؤمن بأننا نشعر بالربيع ، وهو قادم إلينا ممتطياً جناحى نسمات مارس ، وقد يكون لدينا هاجس بأن هناك مخلوقات صغيرة تدب داخل الحوائط الصخرية ، وقد نتظاهر بأننا لا نرى الشتاء وهو يختلس النظر عبر السياج ، وفى داخل شعره سحابة رمادية ، وفى عينه مكر بارد ، كما نعطى كل انتباهنا للزعفران الصغير الجسور ، الذى يندفع من أسفل قدميه الجليدتين.

وهناك دلائل أخرى عديدة تبشر بحلول الربيع وبقدوم مارس ، فالغربان بدأت تغازل بعضها ، وبدأت تبنى أعشاشها فى الرماد ، وفى شجر الدردار وشجر الجميز ، وهذه علامة لا تخطئ أبداً ، وبعدئذ تبدأ الأرانب الجبلية تقفز وتتهامس فى منافسات موسم التزاوج الحميمة.

ماذا لو كان الشتاء لا يزال يخبئ فى أكمامه عاصفة ثلجية أو اثنتين ؟ إننى أجهز حاجياتى وأترجل للأمام مرحبة بالربيع ، وأمام قدمى كلابى الثلاثة ، إنها ليست مسنة ، ولكنها تدرك كما أدرك تماماً أن الربيع قد أتى ، يالها من رفاق رقيقة تلك الكلاب ، عندما تستبق بعضها لتشتم آثار أقدام الربيع ، إنها أول من يشم الرائحة العذبة للحشائش الوليدة وشجيرات الصفصاف ،إن كل برعم صغير ، وكل ورقة شجرة لم تتفتح بعد ، تجعل قلبى يقفز من فرط سروره ؛ لأنى أعرف أن الربيع حقيقة مؤكدة.

حقّا ، إن الرياح الشمالية والرياح الشرقية تصرصر من علياء الروابى ، فتجعلنى أدور حول نفسى ، وتكاد تقتلعنى من أقدامى ؛ فأعود إلى مدفأتى بقليل من

الاكتئاب ، حتى يناديني مرة أخرى دفء أول شعاع للشمس ، عندما يلامس الكتاب المفتوح على ركبتي ، ثم تسخر مني الجبال الكبرى ذات القمم البيضاء ، وتأمرني بالعودة مرة أخرى إلى جوار مدفأتي ؛ فالربيع في مارس مخادع رواغ ، وما هو إلا حلم شيطاني من أحلام الشعراء ، ويستمر قلبي في الغناء بإصرار ، حتى تسقط الرياح المارقة أشلاء ، كنفخات تداعب الكلأ وتوقظ ماء المستنقعات.

وربما أخلد للنوم فيما يبدو وكأنه منتصف الشتاء ، ولكن واثقة من أنني سأستيقظ ؛ لأشتم العبير الذي يفوح من الأخشاب بعد أن تلفحه ريح الغرب الطيوب.

وأنا بين خبرات الانتظار والإيمان ، أتوقع من كل يوم من أيام مارس أن يكون رسولاً يوفده الربيع ؛ كي يعلمني أن الطقس مهما اختلف حاله ، فإن له جماله ، وأنه لا يوجد في الحقيقة طقس سئ ، وأن الطقس السئ ليس إلا خرافة ، اختلقها الناس الذي لا يحبون تباين الطقس، وتقلب الأيام .

إذا تعلمنا أن نحب أكثر من نوع من أنواع الطقس ، فمن المؤكد أننا سنسعد أكثر، وحينئذ سنجد أن الجو جميل ، مهما اختلف الطقس طوال العام ، فإذا استيقظنا في الصباح ونظرنا من النافذة ، ووجدناه يوماً رمادياً باهتاً بارداً ممطراً ، فعلينا أن نفكر في الزهور الجميلة التي يمهد هذا اليوم الطريق لها كي تتفتح ، ولقادنا تفكيرنا أن نكون أكثر رقة ولطفاً ، ليس فقط مع هذا اليوم ، ولكن مع كل الأيام الأخرى التي ستتوالى.

السماوات في يونيو June Skies

المصدر : مجلة المنزل عدد يونيو ١٩٣٢

لا يوجد أبدع من يوم فى يونيو ، تلك حقيقة ؛ فإنى أحب كل أشهر السنة الاثنى عشر لأنها تحمل ضروباً مختلفة من البهاء ، إلا أن يونيو هو شهرى المفضل ، فأيامه ذروة البهاء ، يكسوها الأزرق الصافى ، وتتأنق بالأغانى والضحكات ، حيث الحقول يغلفها دخان أبيض ، وبينما تتسلق الورود جدران الحدائق ، يغطى الوادى صوت طائر **المراح** (طائر أمريكى معروف بمرحه) وهو يعلن للعالم بأسره بأن الحياة حلوة .

وإذا كانت أيام يونيو بهية تلهم الشعراء بموضوعات ذهبية ، فترى كيف تكون أمسياته ؟ وإن كنت لا أرى النجوم وهى تبحر فى ظلمة السماوات الملساء ، فإنى أرمق نجوماً أخريات تشبهها فى البهاء وهى تتلألأ فى أعماق روحى ، فعقلى يرصد أعاجيب السماء.

فالأعمى الذى لا يستطيع أن ينظر إلى السماوات ، ينظر إلى داخل نفسه ، ويحملق فى الصور الذهنية المرسومة بداخله ، ويراها بروحة فيستمتع بما يستمتع به الأصحاء المبصرون ، فيكون الخيال قرون الاستشعار التى تهتز بحثاً عن مواطن الجمال فى الحقول ، فى إحدى الأمسيات ، أو نجمة تتلألأ فى ليلة مزهرة ، وعندما يتصفح الكفيف البهاء المرسوم بعقله ، ينسى أنه كفيف تماماً مثلما تخبرنا الأسطورة الإغريقية ، كيف ينسى عالم الفلك أساسيات العلوم عندما يحملق فى النجوم ، ويستغرق حتى تهيم روحه فى السماء ، ولا تعود به إلى الأرض ثانية حتى يفكر فى العلوم .

وبالمفهوم نفسه فنحن نسافر إلى الفضاء ، عندما نزور إحدى القباب الفضائية ، هذه البدعة التى استحدثت أول الأمر فى ألمانيا ، وانتشرت الآن فى حوالى خمس عشرة مدينة ألمانية وكذلك **فيينا، وروما ، وموسكو ، وشيكاغو ، ولندن** ، وفى كل ليلة يتجمع العديد من الناس كباراً وصغاراً ، منتظرين حتى يبدأ العرض ، الذى يرسخ فى عقول النظارة فلا ينسونه أبداً.

عندما تذهب إلى واحدة من تلك القباب الفضائية ، فإنك تدخل إلى قبة نصف كروية لتعرض عليها زرقة السماء ، وعندما تخفت الأضواء ، تبدأ فى مشاهدة النجوم، وحينئذ تنسى أنك بداخل مبنى مغلق ، وتعيش فى خيال جامح ، بأنك تحلق فى السماء الفضاء.

وإذا كنت تستطيع أن ترى ما يقل عن ثلاث آلاف نجمة بالعين المجردة ، فإنك تستطيع أن ترى فى القبة الفضائية الموجودة ببرلين أكثر من خمس آلاف وأربعمائة نجمة يعرضها جهاز للعرض ، موجود فى منتصف أرضية القبة.

وفى هذه القبة هناك مائة وتسعة عشر جهاز عرض ، إذا نظرت إلى أحد طرفيه تشاهد ما يشبه نصف كرة ، أو الخوذة التى يلبسها «**الغطاس**» ، ويستدعى الأمر وجود نصفين كرويين حتى يعرض على أحدهما النجوم الموجودة باتجاه الشمال ، فى حين يعرض على الآخر النجوم الموجودة باتجاه الجنوب ، وبداخل كل خوذة هناك مصباح مضئ ، وموضوع فى الأجناب ست عشرة عدسة موزعة ، وخلف كل عدسة توجد رقاقة تظهر عليها النجمة فى مكانها الصحيح، وهذا العرض يسهم بشكل كبير فى تأمل الإنسان فى خلق الله.

وخلف أطول النجوم تظهر مجرة درب التبانة ، ويظهر لك جهاز العرض حركة النجوم والأجسام فى الفضاء ، فتراها تتحرك من الشرق نحو الأفق الغربى ، وترى الكواكب وهى تتحرك فيما بين النجوم الثابتة نسبياً ، وتكون سرعات تحرك الكواكب مختلفة ، ويأخذك الخيال لتتصور شكل السماء إذا نظرت إليها فى «**نيويورك**» ، أو «**فلادلفيا**» ، أو حتى فى «**الإكوادور**» ، أو «**بويس آى رس**» ، أو من موقع قارة «**أنتاركتيكا**» .

وتجد نفسك تسافر ليس فقط من مكان لآخر ، ولكن أيضاً من زمان لآخر ، فتحملك هذه الآلة النظارة السحرية إلى الماضى ؛ فتتخيل كيف كان حال تلك السماوات منذ أربعة عشر ألف عام ، أو كيف سيكون حالها بعد آلاف السنين ، وفى غضون دقائق معدودة تستطيع أن تفهم من خلال القبة الفضائية ، مالا تستطيع أن تدركه طوال حياتك من خلال الملاحظة بالعين المجردة.

والمثال الذى عرضناه عن القبة الفضائية ومدى محظوظية من زار إحداها ، يوضح كيف يعتمد الكفيف على خياله كى يستمتع بالحياة ، ونحن ننصح الآباء والمعلمين أن يعملوا على أن يدرب الأطفال طاقاتهم الخاصة بالرؤية الداخلية (التصورية) ، فبعض منا يعتقد خطأ أنه يجب ألا يستغرق الرجال والنساء كثيراً فى خيالاتهم حتى يكونوا عمليين ، وفى ذلك قتل لموهبة منحها الله إيانا.

ومن يطلق العنان لخياله بعد الطفولة هم قلة قليلة من البشر ، ويا للأسف !! فلا يمكن أن نقارن ما نفهمه بحواسنا بما نستطيع أن نصنعه بالتأمل بعقولنا والنظر فيها إلى الشمس والنجوم التى تسطع بداخل ألبابنا.

وإذا لم نحطم أجنحة الخيال ، فيمكن للعقول أن تصنع عالما خاصاً بها ، تستحضر فيه الأشكال البديعة والصور البهية والمناظر الخلابة ، عالماً يحول الكآبة والرتابة إلى بهاء وسناء ، عالماً ينير سنا ضوئه ظلمة السجون.

قا لقد أنعم الله على البشر بقامة منتصبة كى ينظروا إلى السماء ويرمقوا النجوم فى عليائها.

سحر الأصابع Magic in your Fingers

المصدر : مجلة المنزل عدد مايو ١٩٣٢

قليل من الناس الذين يتمتعون بنعمة البصر يدركون كم هى عظمة حاسة اللمس العجيبة ، أما من فقدوا نعمة البصر ، فهم لا يتوقفون عن التفكير فى أهمية حاسة اللمس ، فى كل مراحل نموهم ، فاللمس قاسم مشترك ذو أهمية بالغة للمكفوفين فى كل أنشطة الحياة ، وتعتبر حاسة اللمس فى مرتبة أعلى فى الأهمية من البصر أو السمع أو حتى الشم ، فتلك الحاسة بمفردها كانت فى الحقيقة بمثابة المفتاح ، الذى فتح لى عالم الطبيعة ؛ فبها ميزت بين أوراق الشجر والبراعم والأزهار ، وعرفت الأجنحة التى ترفرف ، والغناء ، والتيار البارد ، ودفء الشمس ، وصوت الكمان ، وصوت حقول القمح ، الذى كان يشبه قيثارة «**عولس**» إله الرياح عندما تعزف عليه أنامل النسيم الرقيقة.

وإنى أشفق طوال الوقت ، على أولئك الذين يخرجون الأشياء التى فى جيوبهم بأيديهم وينظرون إليها ، ولا يحاولون أن يستمتعوا بمعاناة اكتشاف متعة اللمس ، والذين لا يفهمون أهمية اللمس فى تنميتهم وتقويتهم وزيادة اتزانهم العقلى.

وبهذه الحاسة بدأت كل أشكال الحياة على الأرض فى العصور الأولى ، ثم تطورت إلى تنظيمات أعظم ، وحتى نوضح الأمر ؛ فعلينا أن نعرف مصطلح اللمس بقولنا : إنه الإحساس المميز ، الذى يجعلنا نشعر بمقاومة المادة الخارجية ، ويجعلنا ندرك نوعية الأشياء : صلبة أو رخوة ، كبيرة أو صغيرة ، خشنة أو ناعمة ، سائلة أو جامدة ، ساخنة أو باردة ، ويتعلم الطفل الصغير كل ذلك فى المهد ، ويمتلك أيضاً الحاسة العضلية التى تضيف لحاسة اللمس قوتها العجيبة.

وحاسة اللمس موجودة فى كل جزء من أجزاء الجسد ، ولكنها تبلغ ذروة حساسيتها وفعاليتها فى راحة اليد وفى أطراف الأصابع ، أما أهم عامل فى اليد فهو الإبهام المتحرك الذى يعطى للإنسان بتحركاته الجانبية ميزة حركية عن القردة ، فمن الواضح تماماً أنه بدون قدرة الإبهام على التحرك صوب كل أصبع من أصابع اليد لما أمكن للإنسان أن يكتشف الكثير من اكتشافاته ، ولما ارتقت الفنون البشرية ؛

فإن ذلك الإبهام قد أعان على اكتشاف الماكينات التى بفضلها عرفنا كيف نغزل وننسج ونحرث ونحصد ، ونحول الطمى إلى حوائط ونبنى الأسقف التى نظلل بها رؤوسنا ، وبتلك الماكينات نستطيع أن نرفع الأطنان الضخمة من الصلب ، ونحمل الأثقال العاتية ، دون أن تشكو تلك الماكينات أبداً.

انظر أيها القارئ إلى يدك وتفكر فى القوى غير المحدودة التى تمتلكها ، فكر فى قدرة اليد على إرسال المياه لرى الصحراء ، وبناء القنوات بين البحار ، وتحجيم قوى الرياح والشمس والبرق ، وحماية البضائع من أذاها ، وبواسطتها تمكن الإنسان من قبل استخدام الروافع لتعبيد الجبال وبناء المصانع والقصور والآثار وقباب الكاتدرائيات.

أما يد الكفيف فهى تصاحبه فى عمله كما تصاحب العين الشخص البصير ، وبها يستطيع أن يستخدم أصابعه ؛ ليقرأ قراءة صامتة لصفحة أو أكثر ؛ فيقطع بذلك ساعات الضجر الطويلة ، وعلى المنوال نفسه تعين اليد الأصم فبها يتعلم ، وإذا ما كان أبكم أيضاً تكلمت يداه عنه ، واستخدم أصابعه لنطق الكلمات للأعين ، التى تتحول بدورها إلى آذان.

ولقد ابتكر الكهنة البوذيون رموزاً قائمة على أساس الأيدى ، فكل إصبع يمثل خلقا ضروريا للحياة الصحية ، فالإصبع الأول (السبابة) يشير إلى الخير وطاعة الأبناء ، والإصبع الثانى يشير إلى السلوك المحتشم والسعادة الزوجية ، والإصبع الثالث يشير إلى الاستقامة والولاء ، والإصبع الصغير يعنى الحكمة والترابط الأسرى ، والإبهام يشير إلى الحميمة والإخلاص للأصدقاء.

قد يضحك بعض منا على تلك الرمزية ، ولكنها فى الحقيقة رؤية شاعرية لقوة اليد فى عمل الخير والشر ، فبكل ما تمتلكه الأصابع الخمسة من قوة ورشاقة عند القيام بفعل الخير نستطيع أن نفسر سبب تلك القوة والرشاقة ، إننا نمتلك كنوز الدنيا وخبراتها، ولكننا إذا كنا أنانيين وبلا ولاء للإنسانية ، أو تنقصنا روح الجماعة ، فإننا نحطم تلك الأصابع الواحد تلو الآخر ، وتكون اليد بغير نفع ، أو كما يطلق عليها اليابانيون **«مجرد هراوة»** .

لقد خضت تجربة استخدام اليد عندما كنت أحيا حياة الظلام والصمت ، إن يدى هى ما يربطنى بالبشرية ؛ فبها أشعر وأتحسس الجمال فى الحياة ، بل وكل أنشطتها ، كما أن أيادى الآخرين امتدت للظلال التى غلفت حياتى ، وكانت بالنسبة لى فيض محبة من الرحمن ، كما أنها رسخت فى الإيمان الراسخ بالله ، حقاً كما يقول قارئو الكف :

إن فى يد الإنسان الخير إحسانا مرئيا وملموسا .

فليبارك الله اليد ، ولتدم بركته على اليد العاملة .

مستقبلي كما أراه My Future as I see it

المصدر : غير محدد

عندما كتبت قصة حياتى اعتقدت بأننى قد أخبرت قرائى كل ما أعرفه عن نفسى ، ولكننى بعد نشر كتابى هذا وجدت العديد من الأسئلة ، التى تلاحقنى وتدور كلها حول ما سأفعله ، عندما أتخرج من «رادكليف» فى العام المقبل ، فغالباً ما كانت الناس تسألنى عن رؤيتى لمستقبلى ، فأنا لم أكن أنوى أن أكون مثل تلك الفتاة الريفية فى «ألفونتين» ، التى هامت بخيالها حول مستقبلها المشرق ، وأخذتها الحماسة كنشوة حتى انسكبت جرة اللبن التى كانت تحملها ، وكما لم أكن أتمنى أن أكون ، مثل الصبية الصغار الذين أخذوا يتبارون ويتنافسون فى التنبؤ بمستقبلهم حينما يكبرون، وأخذوا على أنفسهم وعوداً بأن يكونوا رجال شرطة ، وأطباء ،ورجال إطفاء ، وجنود.

لقد اعتدت على أن أرسم لنفسى طموحات جامحة ، ولعل أكبرها أن أصبح رئيساً للولايات المتحدة الأمريكية ، لقد كنت افترض فى صباى أننا جميعاً طيور مغردة ، ولكن أهم سؤال أرى أنه يجب أن نسأله لأنفسنا هو : أى نوع من الطيور المغردة ينبغى أن نكون ؟ وكلما تقدم بنا العمر ضحكنا على أحلامنا الوردية التى عشناها فى طفولتنا.

ولكنى أتمنى ألا يتوقف البشر عن الأحلام ؛ لما فى ذلك من أثر بالغ فى أن يعمل البشر بكد وفى إعلاء بعض المعانى الوجدانية ، وآمل ألا يأتى يوم أرى فيه العالم بنظرة تشاؤمية ، وأشعر بأن الحياة بلا جدوى ، وأننا ندور فى دائرة مفرغة.

إن الطموح وليد الظروف التى تغلف الحياة التى نحياها ، فلطالما أحسست بأن القصور الذى كنت أعانى منه ، سوف يقف عقبة أمامى لأن أقوم بأى شئ أكثر من تحسين قدراتى العقلية وتقبل احتساء الكوب الذى يقدم إلى ، سواء كان مملوءا بالسعادة أو بالأسى ، فلا يوجد إحساس أصعب من أن تتذوق مرارة الوحدة ، ولا يوجد ألم أشد من أن ترى الأصدقاء وهم يبكون بحرقة فى ظلماتهم ، وأنت مكبل بالقيود ولا تقوى على الذهاب إليهم ، هذا هو الانفصال عن الناموس الاجتماعى الذى خلقنا عليه ، وما التأسى على القوى المهدرة ، إلا موت فى ريعان الحياة ، ولكننى

اكتشفت أن المادة التى يمكن أن نصنع منها الأشياء موجودة ويوفرة ، فى كل مكان ، لقد أحسست بالمتعة التى يشعر بها الإنسان القوى الذى يمسك بزمام الأمور؛ بما يجعله سيد الموقف ، فليست الظروف المعاكسة ألد أعدائنا ، بل عدونا الأول العزيمة الفاترة .أنا أفكر إذن أنا موجود. وأنا أعلم أن المجالات التى يمكن أن أعمل بها محدودة ، ولكنها بالنسبة لى بدائل عديدة ، فأنا مثل الفيلسوف الذى ضاقت به حديقته فارتقى بها فوق النجوم.

إن الوظائف التى يمكننى أن أشغلها قليلة ، ولكنى أستطيع أن أتميز فى أية وظيفة سوف أشغلها ؛ لأنى سألقى فيها بكل ما أملكه من قوى ، والفرص المتاحة للآخرين تناديني أيضاً كل يوم بل وكل ساعة ، إننى فى حيرة ، فأى من المهام العديدة المتاحة أمامى ستكون من نصيبى؟ أنا الآن فى بدء العام الأخير لدراستى الجامعية ، وأتوق شوقاً ليوم التخرج ، ويدور فى خلدى اجتيازى آخر الاختبارات وكتابة أخر التكليفات ، وهاأنذى أقول وداعاً لأيام الدراسة ، واستعد لركوب قاربى الصغير ، لأبحر مغامرة فى خضم البحار المجهولة. لقد حصلت على أفضل مستوى تعليمى يمكن أن تقدمه بلدى إلىّ ، وساعدنى أصدقائى الكرام ، وقدموا لى كل سبل التعاون.

والسؤال الآن : ماذا سأفعل بما تعلمته ؟ وكيف سأستغل الفرص المتاحة أمامى؟ إننى لن أنسى أبداً كل الفرص وكل العون الذى قدمه لى زملائى كى أطور من قدراتى العقلية ، وأعد بأن أستمر فى الحفاظ على الزهور منمقة ، وأن أضيف إلى خبراتى الفكرية ، وسأستمر فى القراءة بكثافة بقدر المستطاع ؛ حتى أثرى من معلوماتى عن الكلاسيكيات ، ولن أفقد اهتمامى بالتاريخ والقضايا الاجتماعية ، وسأظل أدرس طوال العمر حتى لا أتوقف عن متعة الدراسة.

إننى متيمة جداً بالأعمال التى يمكن أن تقدمها المرأة للعالم ، فالآن تتمتع المرأة بكل التقدير والاحترام ، بصورة لم يشهدها التاريخ من قبل ، فلقد قرأنا عن نماذج كثيرة فى التاريخ تسرد لنا أفول نجم حضارات كثيرة مهما ارتقت بسبب عدم تثقيف المرأة ، وأعتقد أن حضارات أية أمة تقاس بدرجة تنور المرأة بها ، ولهذا فسوف أدرس الوضع الاقتصادى للمرأة ، وأفعل ما بوسعى فى سبيل رفعتها ، لا

أستهدف من وراء ذلك إلا إرضاء الله والبشرية.

وقبل أى شئ سأولى اهتمامى الأكبر للصم والمكفوفين ، وستكون احتياجاتهم سبباً آخر يدفعنى للترحال ، فكثيراً ما حلمت بالإبحار فى نهر الراين وتسلق جبال الألب والتجول وسط الآثار اليونانية والرومانية ؛ لأستمتع بكل ما قرأته عن حكايات الرحالة ، وبكل ما رواه لى الأصدقاء عن خبراتهم عبر البحار ، وأحقق أمنية خاصة بزيارة المعرض الدولى بشيكاغو. ولقد أصبح لدى الآن دافع آخر للترحال ، فإضافة إلى المتعة التى تدور بمخيلتى ، فإننى أعتقد بأنى يمكننى أن أقدم العون للمعلمين فى بعض البلاد الأوروبية مثل إيطاليا والسويد ؛ كى يستفيدوا من خبراتى فى التدريس للمكفوفين ، وتقديم كل الدعم لهم.

هناك طريقتان للعمل : أن نقوم بالعمل بأنفسنا ، أو أن نعمل من خلال الآخرين ، والطريقتان متاحتان بالنسبة لى فبيدى وبصوتى أستطيع أن أدرس ، وربما أستطيع أن أكتب أيضاً ، ومن خلال الآخرين أستطيع أن أعمل أعمالاً خيرية من خلال تشجيعهم على العمل الخيرى وحثهم على الابتعاد على كل الشرور والآثام .

أغلب الظن أننى سأعيش فى الريف ، وسأدعو أحد الأطفال الصم إلى منزلى ؛ كى أعلمه ما تعلمته من السيدة «آن سوليفان» فلقد راقبت طريقتها فى التدريس عن كثب لعدة سنوات ، ولقد بهرنى أسلوبها وأفعالها ، التى مكنت طفلة معاقة مثلى أن أبصر بروحى وأفهم بقلبى.

أعتقد بأنى سأتمكن من استيفاء حاجات ذلك الطفل الأصم ، ومن مساعدته على التغلب على الصعوبات التى يلاقيها ، فأنا أعلم جيداً الظلام الذى يراه والسكون الذى يسمعه ، وأعلم الأماكن الوعرة التى سيقابلها فى رحلته ، وأعرف كيف يمكنه أن ينجو منها ، وهذه أفضل طريقة يمكننى بها أن أستمتع بتقديم شئ للآخر ، سبق أن قدمه لى الآخرون .

وسواء قمت بالتدريس أم لا ، فإنى سأعمل بالكتابة ، وقد تكون الموضوعات التى سأكتب عنها محدودة ، فما أعرفه بسيط جداً حتى يرضى من يستطيع أن يرى ويسمع ، فبأعينهم يمكنهم رؤية الأرض والسماء والماء ، فى حين أننى لا أدرك من

العالم إلا ما أستطيع أن أمسكه بيدى ، ولكننى أستطيع أن أكتب التراجم عن بعض الأعمال الكلاسيكية ، وأن أترجم عن بعض اللغات الحديثة ، وإذا أتيحت لى تلك الفرصة ، فإنى سأكتب فى موضوعات تتعلق بالصم والمكفوفين ، وسوف أسعى لأن أسهم فى وجود خطة تدعم المكفوفين على أن يعتمدوا على أنفسهم ، وإذا تطلب الأمر أن ألقى كلمة فى هذا الشأن فلن أتأخر عن ذلك أبداً ، وإذا تطلب الأمر أن أكتب مقالات لدعمهم مالياً أو معنوياً فسوف أفعل ، ولقد اقترح علىّ بعض المحررين والناشرين بعض الموضوعات التى يمكن أن أكتب فيها ، وأرى أن الموضوعات التى اقترحوها مفيدة جداً لأننى عرفت من خلالها ما يتوقعه الآخرون منى ، كما أننى استلهمت منها عدة طرق يمكن أن تساعدنى فى إثراء مهاراتى الأدبية وفى توظيفها بشكل عملى ، ورغم كل هذا فإننى لا أستطيع أن أحدد حتى الآن إلى أى مدى سوف آخذ بتلك الأطروحات.

وهناك طريقة أخرى يمكننى بها أن أقدم خدماتى للآخرين معتمدة على نفسى دون الاستعانة بالآخرين ، ألا وهى القيام بأعمال التوطين ، إننى - كما أخبرتنى إحدى الصديقات- كنت أحارب طواحين الهواء ، عندما قلت فى كتاب لى : إنه لشئ مخز أن الفقراء لا يستطيعون أن يحيوا فى منازل مريحة ويكبروا ويكونوا أصحاء ، ولكن أسمع كل يوم عن الفتيات اللاتى تغادرن بيوتهن والسعادة بها كى يقمن فى أماكن الفقراء ويعطين قيمة لحيواتهن ، ولقد استثار ذلك فى نفسى أن أحذو حذوهم ، نعم إن العالم مملوء بالمعاناة ولكنه أيضاً مملوء بالحلول لتلك المعاناة ، وكما أشرت فهناك أوجه كثيرة للخير لم تنجز بعد.

فمثلاً لا يسعنى حينما أرى أن بلدى تنفق الملايين من أجل الحرب ، ومن أجل إعداد المزيد من آلاتها ، إلا أن ألقى كلمة فى هذا الشأن ، وبخاصة أن ما يصرف على الحرب يعادل - كما وصل إلى مسامعى - ضعف ما تنفقه الدولة على نظام التعليم القومى.

كما أستطيع أن اعتنى بالمرضى ، فلقد مررت بمواقف عديدة استخدمت فيها يدى لتخفيف الألم باستخدام ما يسمى المساج وأزعم بأنه يمكننى أن أدرس هذا الفن يوماً بعد يوم ، من الممكن أن أجيد ذلك ، وحتى إن لم أمتهن تلك المهنة ، فيمكننى

أن أعلم ذلك الفن للمكفوفين.

إن أيادينا – نحن المكفوفين – أدوات نحيا بها ، وإذا ما تم تدريبها بكفاءة ؛ فيمكنها أن تثبت أنها ذات نفع أكبر من العين والأذن ، وعليه فإذا عملت فى مهنة المساج أنا أو غيرى من المكفوفين ، فإننا نستطيع أن نوظف تلك الأيادى التى تشعر بالسرور والغبطة عندما تتحرك وتعمل ، نوظفها فى سبيل إراحة الكثيرين.

ولكن لا يوجد أى عمل يسعدنى إلا إذا كان يستهدف الصم والمكفوفين ، قد لا أتمكن الآن من وصف ما يشعرون به ، ولكنى سأعمل على اكتشاف كل مشكلاتهم ، والعمل على البحث عن طرق لحل تلك المشكلات ، وسأسعى لإنشاء سجل لكل الجهود التى تستهدف الصم والمكفوفين ، وسوف أوجه انتباهى على وجه التحديد لاثنتين من تلك المشاكل : كتب أكثر للمكفوفين ، ونظام عالمى للطباعة ، وربما أكون مخطئة فى رؤيتى لكنى سوف أحتاج لتحليل نوع العمل الذى سوف أقوم به.

وسيسعدنى كثيراً أن يكون للمكفوفين مجلة عالية الجودة وتتناول مجالات عديدة ، وتشبه أفضل الدوريات التى تصدر لجمهور القراء من الأسوياء. وإصدار أية مجلة سيتطلب مالاً وفيراً ، والمكفوفون فقراء ، وهذا يتطلب من محبى المكفوفين أن يسهموا فى إصدار تلك المجلة ، وأعتقد أن الدولة التى تهتم ببناء المكتبات وتوفير الكتب للمبصرين ، سوف تسعى لإصدار مجلة لنا نحن المحرومين من نعمة البصر.

أنا ما زلت طالبة فى الجامعة ، وأتوق شوقاً إلى العصر الذهبى الذى سأحقق فيه كل ما خططت له ، ويمكننى أن أحلم بدولة مثالية فى المستقبل ، لا يوجد بها أناس يعيشون حياة رغداء تاركين الآخرين للمعاناة والشقاء ، وحينئذ سيتمكن المكفوف من أن يرى ويتمكن الأصم من أن يسمع.

هل نحن ممن يهدرون الوقت ? Are we wasters of time

المصدر : من جملة المنزل عدد يناير ١٩٣٣

في أول يوم من مطلع العام الجديد ، وعندما نبدأ في ترتيب أوراقنا ، من الأفضل أن نتحرى إذا كنا ممن يهدرون الوقت ، وعلينا أن نتفكر في كيفية تدراك ذلك الأمر ، فالوقت هو أحد الأشياء التي نمتلكها ، وقد يتوقف معيار نجاحنا على مقدار استثمارنا الصحيح للوقت.

إن صعوبة الاستثمار الأمثل للوقت تكمن في طبيعة الوقت ذاته ، ومن الصعب أن تستخدم أي شئ الاستخدام الأمثل ، دون أن تدرك ما يتبقى لك من ذلك الشئ كي تستخدمه. نحن ندرك أننا نحيا حياة محدودة الوقت ، ولكننا لا نمتلك أي وسيلة لنكتشف بها مقدار محدودية ذلك الوقت ؛ ومن ثم فنحن نميل إلى الإسراف في قضاء أوقاتنا في التفاهات ، كما لو كان نصيبنا من الحياة أبديا غير محدود.

إن الجزء الأكبر من وقتنا تخططه لنا الظروف ، فبعد ثمان ساعات نخصصها لكسب أقواتنا (يوم العمل في أمريكا يبدأ من التاسعة صباحاً إلى الخامسة مساء) وثمان ساعات نقضيها في النوم ، وساعتين أو ثلاث ساعات لنتناول وجباتنا ، فلا يتبقى لنا من الوقت لكي نشغله بما نحب ، ويكون لزاما علينا أن نجتهد كي نستخدم البقية الثمينة .

ولكن ماذا عن لحظات الفراغ ؟ إن بعض الرجال الذين دفعوا العالم دفعاً إلى الأمام كانوا أناساً استطاعوا أن يستثمروا لحظات الفراغ بحكمة ، فمثلاً استطاع أديسون أن يستفيد من لوحة مفاتيح التلجراف التي كان يطرقها حينما كان موظف تلجراف يتقاضى مرتباً بسيطاً ، لم يضع لحظات الفراغ ، فلقد فكر وخطط وحاول فيما بين تلقي وإرسال التلغرافات ، وذلك بغرض تحسين الآلة التي يعمل عليها.

ويذكر «**بنجامين فرانكلين**» في سيرته الذاتية كيف أنه استطاع أن يستخدم مائة طريقة كي يستفيد من لحظات الفراغ ، أما تشارلز داروين فقد وجد أنه – بسبب مرضه – يصعب عليه أن يعمل لفترة أطول من نصف ساعة دون أن يستريح ، ورغم أن عمله كان في فترات لا تزيد الواحدة منها على نصف ساعة ، إلا أنه أسس نظرية

فلسفية جديدة ، غيرت مجرى الفكر العالمى.

إن لحظات الفراغ ينبغى ألا تكون مجرد مصدر لسعادتنا ، ولكنها يجب أن تستعير عقولنا ، وتخرجنا من رتابة الحياة اليومية ، إلى الأفكار الجديدة التى من شأنها أن تجعلنا نستفيد ، أو نفيد الآخرين.

بالطبع هناك جوانب أخرى لاستخدام الوقت بأفضل طريقة ، وهناك طرق عديدة للتعامل مع الوقت غير طريقة إهداره ، ولكن الإفراط فى استثمار الوقت قد يكون تبذيراً ، ضرره مثل ضرر إهداره ، فالقيام بنشاط بدنى دون اعتبار مقداره ونوعيته وملاءمته لمن يقوم به ، فإنه يكون ضياعاً للوقت شأنه شأن الكسل ، وكذلك المرأة المتبرجة لا تقوم فقط بأشياء لا حاجة لها بها ، ولكنها تقوم بعمل أشياء يجب أن تتوقف عنها.

يمكن للوقت أن يكون إيجابياً أو سلبياً ، ويمكن للوقت أن يضيع الأفراد كما يمكن أن يضيعه الأفراد ، وهو قابل للتخريب ، ولكن انتقامه شديد القسوة ، ولكننى أعتقد أنه يجب أن نتفق جميعاً على ألا نقتل الوقت ، وألا نقضيه فى أشياء ، يوحى إلينا ضميرنا وكل جوارحنا بأنها أشياء محض عبث أو دناءة ، وعلى الأقل يجب أن نحاول أن نستخدم أوقات فراغنا بالشكل الذى يجعلنا نأخذ من حياتنا كل ما نحن مهيئين له ، وكل من تصر على إهدار الوقت يجب ألا تندهش إذا وجدت نفسها – أجلاً أم عاجلاً – تردد مقولة تيتونس **"Tithonus:**

« أيتها الساعات القوية الساخطة ، لقد قمت بفرض إرادتك وأرغمتينى وقاسمتينى وأضعتينى» .

هذا ما أؤمن به (حديث ل« هيلين » كيلر) This I Believe

المصدر والتاريخ غير معلومين

يقول مورو " Murrow "فى تقديمه «**لهيلين كيلر**» :

هذا ما أؤمن به ، فكما يعرف كل إنسان فإن «هيلين» كيلر كانت مبتلية بالصمم والعمى منذ نعومة أظفارها ، ولكن هذه المرأة الخارقة عاشت حياتها رمزا للشجاعة عند الملايين ، واليوم – ورغم بلوغها السبعين ربيعاً – فهى تجوب العالم مستشارة للمؤسسة الأمريكية للمكفوفين ؛ لتنشر عقيدتها بصوتها الذى لا تقوى على سماعه ، والذى تعلمت بجهد شاق كيف تستخدمه.

وترد «**هيلين**» هذه «**هيلين**» كيلر تقدم لك التحية ، إنك لا تألف الطريقة التى أخرج بها صوتى ، ومن ثم ستتولى صديقتى « **بولى تومسون**» تفسير خواطرى حول ما أؤمن به ، تلك التى كتبتها من صميم قلبى.

تردد بولى تومسون بصوتها ما تقوله «**كيلر**» لتفسير صوتها غير الواضح للمستمعين، لقد اخترت موضوع الإيمان فى الحياة بعيداً عن التعرض للعقائد والمبادئ الدينية ، وأعنى بكلمة الإيمان رؤية الخير الذى يبقى فى الذهن ، والحماسة التى تدفع الإنسان إلى البحث عن الكمال رغم وجود المعوقات ، والإيمان قوة دينامية تحطم قيود الروتين ، وتوجهنا نحو تغيير كل ما هو حديث جيد ، بما هو بال ورث ، فالإيمان ينعش الإرادة ، ويثرى العواطف ، ويوقظ الإبداعية.

والإيمان الحق لا يعرف معنى الخوف ، وهو بالنسبة لى مثل صمام الأمان الذى يحمينى من الهرطقة واليأس ، وبعد ، فالإيمان ليس شيئاً واحداً أو شيئين أو حتى ثلاثا ، فهو كل خفى للعقائد التى تعطينى الإلهام ، فإيمانى بالله كخير مطلق ، ورؤيتى لحكمته تجعلانى أستشعر بأن أياديه الخالدة ستحمينى فى خضم الحياة ، كما أن ثقتى بمن يحيطون بى ، وبالخير المتأصل فيهم يجعلنى على ثقة بأننى بعد حزن الليل وظلامه ، سأصبح قوية وجميلة فى بهاء الصباح.

إن توقيرى للجمال وبهاء الأرض ، وإحساسى بالمسئولية ، يجعلانى أعمل كل

ما فى وسعى ؛ حتى أجعل المسئولية عادة صحية ومتكررة عند الناس ، وإننى أؤمن بالفناء لأن ذلك يقلل من مرارة فراق من أحببتهم وفقدتهم ، الفناء سيحررنى من القيود غير الطبيعية ، ويطلق العنان لملكاتى فى الأنشطة المبهجة.

وحتى فى أقصى لحظات توهجى ، فإنى أؤمن بضرورة تصرفى بشهامة الشجعان فى ظل وجود القدر ، وضرورة نضالى من أجل أن أستحق أن أكون رفيقة للجمال والخير والحقيقة، ولكن القدر يسمو فوق من نؤمن بهم ، والمحدودية تحجم العظماء ، والإيمان الحقيقى ليس فقط ثمرة للإحساس بالأمن ، ولكنه القدرة على مزج خلود الضعف مع القوى الداخلية للروح ، والإيمان لا يتغير أبداً بتغير ظلال ما يؤمن به الفرد.

إن أشد شىء زعزع إيمانى ، كان عندما تعلمت أن هناك الملايين من أصدقائى عليهم أن يعملوا طوال الوقت ؛ حتى يحصلوا على الطعام والمأوى ، وحتى يتحملوا أعباء الحياة الطاحنة ثم يموتوا دون أن يتذوقوا متعة الحياة ، ومن ثم تلاشى إلى الأبد إحساسى بالأمن ، ولن أقوى على استعادة إيمانى المتوهج فى سنوات شبابى ، بأن الأرض هى البيت السعيد لكل البشر.

ولكن الإيمان حالة عقلية ، والمؤمن لا يفتر عزمه سريعاً ، فعندما أفكر فى معاناة البشر والمجاعات والمذابح التى يقترفها البشر ؛ فإن روحى تنزف الدماء ، ورغم ذلك ينتابنى شعور بأن البشر سينتقلون من ظلمة الجهل والكراهية إلى ضوء نهار أبهى ، مثلما حدث لتلك الفتاة الصغيرة الصماء والمكفوفة التى كنت يوماً إياها.

يعقب مورو على ذلك قائلاً :

«لقد استمعتم لما تؤمن به «**هيلين كيلر**» كما نطقت به ، وكما فسرته لنا «**بولى تومسون**» التى عاشت قرابة الأربعين عاماً فى عون «**هيلين**» لتساعدها فى التغلب على فقدانها السمع والبصر ، والتحول من الصمت إلى مخاطبة العالم بهذا الزخم اللفظى .

نستطيع أن نفعل المزيد We Can Do More

المصدر : مجلة المنزل عدد فبراير ١٩٣٤

هيا بنا نبتكر تعبير : « نستطيع أن نفعل المزيد مع إطلالة العام الجديد» .

على بوابة أحد القصور العتيقة فى فرنسا ، كتب شعار «**هناك المزيد بداخلك**» عندما تحسست بيدى هذا الشعار الذى نحت على الصخر منذ قرون مضت ؛ وجدت روحى ترد بحماسة :

حقاً، هذه حقيقة كل واحد فينا.

هناك مصادر وقوى لا نهائية بداخلنا ، تحتاج فقط لأن نفتش عنها ونهتم بها ، فهيا بنا نؤكد ذلك لأنفسنا مراراً وتكراراً مع بدء العام الجديد ، ونواصل ذلك ، حتى تنير حقيقة هذا المفهوم عقولنا وتنعش أرواحنا ، حينئذ سيكون هذا العام عاماً جديداً بكل تأكيد .

نحن نميل لأن ننظر نظرة دونية لأنفسنا ، ولدينا اتجاه راسخ بالفعل لأن نقف وننتظر أن تمتد إلينا أيادى الآخرين ، وقد نتخيل أننا لا نقدر على فعل أى شئ مفيد ، لأننا لسنا مؤهلين مثل الرجال والنساء العظام الذين نقرأ عنهم ، ولكن إذا اجتهدنا فى فحص ذواتنا ربما اكتشفنا أننا نمتلك إحدى المواهب التى تمكننا من إبداع الجمال أو السعادة ، أو مساعدة أى إنسان فى تحقيق هدف نبيل.

إن الأشجار تصمت إذا لم تغرد الطيور ، ولكن الأمر لا يتطلب طيراً واحداً ليغرد ، مثل المغنية الأولى فى الأوبرا ، ولكنه يتطلب العديد من الطيور الأخرى حتى تعزف موسيقى الصيف ، كذلك فإن النجاحات أو الإنجازات الصغيرة المتعددة سوف تصنع حياة الرخاء .

وإننى أكرر : إن هناك المزيد بداخلك أكثر مما تعرفه أنت ، انظر إلى عقلك بالطريقة التى يدرس بها عالم الطبيعة نباتا ما ، وسوف تندهش لما وصلت إليه.

إن نباتات الخليج التى تغطى الربى والغابات فى اسكتلندا ، تظهر كمجموعة نباتات ، ولكن فحصها تحت المجهر ، يثبت أنها شئ متأنق ، فأطرافها الرفيعة ساحرة

فى ألوانها وزخرفتها فيحملق فيها الإنسان غير عابئ بمرور الوقت .

فى يوم من الأيام التقى أحد العلماء براعى غنم مسن ، وأعطى له باقة الخليج ومجهرا ، فأخذ يمعن النظر فى الأزهار وهو صامت ، ثم أعاد الباقة والجهاز إلى العالم،

وقال : ياأيها الرجل ، ليتك ما جعلتنى أرى ذلك .

فسأله عالم النباتات : لماذا ؟

فأجابه الرجل : لأننى وطئتها بأقدامى القاسية ؛ فحطمت بعضها .

إن ذلك ينطبق على عقولنا ، فما نعتبره شيئاً مألوفاً أو عديم الأهمية ، ربما ينطوى على سحر ونبل فى حاجة لأن ننظر إليهما بعدسة الرغبة القوية ؛ حتى نستثمر كل القدرات التى منحنا الله إياها ، تلك الرغبة هى التى تفجر الطاقات.

إننى أذكر تلك الفتاة التى نشأت فى الحياة فقيرة بلا أصدقاء ، بلا ثقافة ، تكاد تكون مكفوفة ، انتابتها فكرة لمدة طويلة بأنها لا تستطيع أن تفعل أى شئ فى الحياة ، وكانت تردد : لا أعرف ما يكفى حتى أقوم بالتدريس ، إن إعاقتى بسبب ضعف بصرى لا تشجعنى على أن أؤدى الوظائف التى تقوم بها الفتيات الأخريات ، ولا أمتلك أية موهبة فى الموسيقى أو الكتابة أو التمثيل. وكان مستقبلها بالنسبة لبعض الناس المحيطين بها ينبئ بالظلام الدامس ، وبعد حين – وقد أصبحت فى شرخ الشباب – جاءها خطاب والد تلك الطفلة الصماء ،الكفيفة ،البكماء ،التى تعيش فى ولاية ألاباما ، وتساءل الأب فى ذلك الخطاب ، إذا كان من الممكن أن تقوم بالتدريس للطفلة ،هيلين، ، واستمعت تلك الشابة نصف العمياء لاستغاثة الطفلة الصغيرة القادمة من سجنها ، وقالت : هاأنذا ، والجميع يعرف القصة ، ويعرف كيف حررت ،**آن سوليفان**، بإمكاناتها البدائية روح تلك الطفلة من سجن الظلام ، وعبدت لها دوماً طرق السعادة والإنجازات.

وهناك – كذلك – قصة عامل المنجم القديم الذى شعر بالوحدة بعد انتهاء زمن الشغف بالبحث عن الذهب ، لقد جاء من سفر بعيد فى وقت متأخر ؛ ليشارك

الآخرين فى الاجتهاد ، ولكنه مكث واجتهد فى العمل ، وفى النهاية عثر على الذهب، فهو يؤمن بالإمكانات اللامحدودة للأرض ، وذلك مكافأته على هذا الإيمان.

فى الحقيقة يوجد بداخلنا أكثر مما نحلم به ، فما نحن إلا مجرد أجزاء أو ظلال لشئ أضخم وأعظم من الواقع الذى نحن عليه ، فنحن لا نعرف أنفسنا جيداً ، ولم ندرك إمكاناتنا بالكامل ، ولكن هناك من هو قريب منا ، هناك من يضع يده فوق يد كل واحد منا ، وهو بمثابة مصدر الضوء بالنسبة لنا ، إنه الكيميائى الناجح الذى سوف يمكننا من قيادة حياتنا صوب منجم الذهب ، إذا كانت لدينا الرغبة فى ذلك من كل أعماقنا ، وإذا كنا نمتلك إرادة العمل بإخلاص من أجل إدراك إمكاناتنا الكامنة.

عالمي المستنير

المصدر : جايد بوستس ١٩٥٦

حينما وجه إلى سؤال حول أهم درس علمته لى الحياة ، لم يكن الأمر هيناً علىّ أن أجد إجابة عن هذا السؤال ، وكلما توغلت داخل أعماقى أخلص إلى حقيقة عدم وجود دروس بعينها تعلمتها من الحياة وأثرت فىّ ، ولكنها قوى لا شعورية أثرت فى وجعلتنى أتعامل مع ما لا أراه.

لقد عملت معلمتى على أن تغرس فى وتنمى لدى الرغبة فى أن تسير السفينة التى تحملنى فى بحار الحياة ؛ وعليه كانت مشاعر الاستمتاع بالمغامرة وبالسفر وحب العيش من أجل خدمة الآخرين أقوى من الإعاقات الجسدية.

لقد وجدت نفسىّ بالفطرة محبة للعمل مع الرجال والنساء فى كل مكان ، دون أن أسأل نفسى : هل يجب أن أعمل من أجل المسيحيين أم اليهود أم البوذيين ؟ ولكنى كنت أقول حكمتك يا إلهى ، أعنى على أن أخفف من آلام عبيدك ، وأن أجلب لهم البهجة والسرور ، ولم يكن العمى ولا الصمم سوى ضفتى النهر الذى كانت تبحر فيه سفينة حياتى ، حتى تصل إلى البحر الأعظم.

ولكن هناك درساً واحداً تعلمته شعورياً ، وهو أن التاريخ يزخر بمعان كثيرة مزهرة ومثمرة ، رغم المقولة الكنسية التى تقول رمزاً : « **لا جديد تحت الشمس**» ، ولقد أدهشتنى مقولة إغريقية مفادها «**لا توجد قوة على الأرض أعظم من البقاء**» . إن كاتب هذه المقولة الثرية فى سالف الزمن ، لم يكن يعلم أنه سيأتى يوم تنبت فيه البذور وتتفتح فيه الأزهار ، يوم يرتقى فيه الأعمى والأصم والأعرج ، ويقهرون فيه الصعاب ، ويحققون فيه الإنجازات المبدعة.

لقد استشعرت أشعة النور التى انبعثت من الكثير من المفكرين ، من أمثال «**سقراط**» و « **أفلاطون**» و « **بيكون**» و « **كانت**» والعراف السويدى « **إمانويل سويدنبورج**» فمع **سقراط** آمنت بأهمية التفكير فى المفردات قبل أن أحولها إلى كلام وأتفوه بها ، ومع **أفلاطون** تأثرت بمفهومه عن المطلق لأنه جعلنى أتأكد بأن ما أعرف أنه حقيقى هو بالفعل حقيقى ، وبأن الجمال جميل ، كما تذوقت الموسيقى التى

لا أستطيع أن أسمعها ، ورأيت الضوء الذى لا أستطيع أن أراه ، أما **سويد نبورج** فحطم قيود الزمان والمكان الخاصة بحياتى ، وأعطانى الشجاعة وأطلق لخيالى العنان لما وراء الحواس ، من خلال التوافق بين العالمين : الداخلى ، والخارجى.

وهكذا أنتقل من فلسفة لأخرى ، فأستخلص من مكوناتها ما يشكل عالمى المستنير ببريقه الخاص ، وهذه الأفكار المتباينة أقنعتنى بأن سعادة الإنسان سواء كان كفيفاً أو مبصراً لا تتحقق إلا إذا امتلأ قلبه بالشمس التى لا تغيب ، والله هو خالق تلك الشمس وباعثها، فإذا ما كان إيمان الفرد بالله قوياً ، فسيتمكن بطريقة أو بأخرى من اكتشاف مواطن القوة فى ذاته ،لأن الله سينير له أيامه المظلمة بإشراقته الإلهية.

منذ كنت فى السابعة عشرة من عمرى ، حاولت أن أحيا فى ضوء تعاليم «سويد نبورج» والتى لم تكن الكنيسة ترى أن لها صفة كنسية ، ولكنها تنتمى إلى ذلك النوع من الأفكار الروحانية التى تستهدف خدمة الرجال والنساء ، وهى ما أسماها «سويد نبورج» بالحضارة التى تنتج من الطقوس الصحية ، التى تقوم على النوايا الدينية الحسنة على المستوى العالمى ، وعلى التفاهم المتبادل ، والتى تنتج من الفرد لخدمة الجماعة ، ومن الجماعة لخدمة الفرد ، مهما كانت العقائد أو الطقوس.

ورغم أن أعمال «سويد نبورج» موجودة فى مجلدات كثيرة ، إلا أنه يمكن إيجاز جوهرها فى ثلاث أفكار رئيسة : الله حب مقدس ، والله حكمه مقدسة ، والله قوة معينة. وهذه الأفكار تفيض كأمواج البحار ؛ فتغمر كل خليج ومرفأ فى الحياة ، بأطياف جديدة من الإرادة والإيمان والمساعى.

وعندما أقول كلمة الحب ، فأنا لا أقصد مجرد عاطفة مبهمة بلا هدف ، ولكنى أقصد الرغبة فى عمل الخير مقترنة بالحكمة ومطبقة فى كل الأحداث والأفعال ، وحيث إن الله باق دائم وخير مطلق ، فهو ينعم على كل فرد بصفات منه لدفع الشر ، ودائماً ما يهدينا إلى سبل جديدة لتنمية البشرية ، وإلى قدوات تقودنا نحو تطور الإنسانية.

ولدى إيمان عميق بأن المثالية ستنتصر على المادية ، وإيمانى هذا لا ينبع من مجرد استبصارى بالشرور التى يعذب بها الإنسان نفسه ، ولكنه نابع من إيمانى

الراسخ بأن الخير سيسمو ؛ لأن هذه فطرة البشر ، فى الوقت الذى ستهوى فيه الشرور والضغائن إلى مقر دركها أسفل سافلين ، وستمضى الحياة بقوتها اللامحدودة نحو قدرها المقدور.

والتفاؤل الذى كان بداخلى تغير من مجرد تفاؤل فتاة مفعمة بالحيوية ، إلى تفاؤل امرأة تعلمت من خبرات الحياة ومآسيها ومخاوفها ؛ فازداد إيمانها أن الصعاب لن تغير الخير الذى كتبه الله على عباده ، وأن أمر الله نافذ لا محالة.

ومن خلال أسفارى حول العالم ، شاهدت هنا وهناك حركة مميزة لإحياء الحقائق الروحانية ، ولمست إحساسا عاما بالمسئولية للعمل من أجل المكفوفين والصم والآخرين من دونهما غير المحظوظين من البشر ، فصالح أولئك لن يتحقق إلا إذا كانت هناك رغبة متنامية تستهدف خير البشرية جمعاء.

هناك طريقتان للنظر إلى القدر: الأولى من أسفل ، والثانية من أعلى ، ففى إحدى وجهتى النظر يحيا البشر وفق قوى لا يمكن دفعها ؛ فيظل الإنسان حبيس مخاوف عدم القدرة على وقف الحرب والجهل والفقر والهمجية.

والإنسان قضى لحظات قصيرة جداً يمكن الإشارة إليها مجازاً بالدقائق وهو ينعم بالحضارة ، وأميل إلى تأكيد أن كل المشكلات والمعضلات التى روعت العقل البشرى وأدمت قلبه ستحطم السلام الدولى.

فى هذا العالم المملوء بالتعقيدات والعقائد والفلسفات كافحت – مثل غيرى – حتى أجد لنفسى مكاناً فى عالم المنفعة ، إننى أؤمن بأننا نبدأ مشوار الجنة الآن ومن هنا ، إذا ما كانت أعمالنا موجهة لصالح الآخرين بحق ، ولا يوجد عمل نافع لا يستهدف صالح البشرية ، وحتى أكثر المهن تواضعاً تتطلب قدرا من المهارة ، وجهداً يدعم الحاجات الاجتماعية الروحانية.

ومن خلال عملى لعدة سنوات من أجل المعاقين ، تعرفت على راحة الضمير التى يمكن أن أكون عليها من خلال بنائى لمصيرى ، ولم أكن فى حاجة فى أى يوم لأن أتوقف عن البناء حتى تنتهى حياتى.

لم أدع الغيب يسيطر علىّ أبداً ، ولكنى استمتعت بعملى ، وكأننى سأخلد أبد الدهر ، والحياة فى عالم الآخرة حقيقة مثل الحياة الدنيا ، ولقد وهبنا الله أعينا وآذانا ؛ كى ندرك أوجها مختلفة من الخير والفكر البناء ، مستترة فى الحياة الدنيا ، فكل الناس متشابهون فى حب الله والخير ، وحتى من يعبد الأوثان ، يفعل ذلك بدافع فعل الخير، إن الحب والمآخاة كمفهومين متناغمين ينشران شذى العطر وأهازيج الموسيقى فى الأفق ، والحياة الآخرة منزهة عن النقص الذى يخلفه الزمن بأعبائه.

إنى أؤمن أن لا أحد يستطيع أن يحقق الكمال لأنه من صفات الله ، ولكن البحث عنه – وهو أحد طرق حب الله – يجعل الإنسان أكثر نبلاً ، ويجعله يتذوق حلاوة البحث عن خالد الأعمال ، وكلما نظرت إلى المستقبل تحيرت فيما سأفعله فى الأعوام القادمة ، ولكنى سأستمر فى أن أفعل كل ما فى وسعى من أجل خدمة المكفوفين والآخرين من المعاقين ، وأنوى أن أزيد من دراستى لكل ما كان مصدراً لسرورى فى صباى ، مثل الفلسفة واللغات وقوانين الروح.

وإنى أرغب فى عمل مسح للأفكار التى جمعتها ، ولم أجد الوقت لاكتشافها بعد، ولا أعرف إلى أين ستقودنى تلك الأفكار ، ولكنى سأحاول أن أبحث عن «**الأوديسا**» الخاصة بى للعمل من أجل المكفوفين والصم ، وإذ أنهمك فى دراستى سأكون واثقة أن هناك شخصيات مبدعة ستأتى من بعدى ، فتضيف تفسيرات ثرية لمفاهيمى حول الحياة الدنيا ، وتمد الجنس البشرى بمزيد من الأعمال والإنجازات.

لو أبصرت ثلاثة أيام Three days to see

المصدر : مجلة أتلانتيك الشهرية عدد يناير ، ١٩٣٣

كلنا قد قرأنا الروايات المثيرة ، حيث يكون فيها البطل على وشك الموت ، وأحياناً تطول حياته إلى عام أو تقصر إلى يوم واحد ، لكننا دائماً ما نكون شغوفين باكتشاف الطريقة التى يقضى بها هذا الرجل المقدر له أن يموت أيامه وساعاته الأخيرة. وهنا أتحدث عن الإنسان الحر الذى يملك خياره ، وليس المجرمين المذنبين حيث إن دائرة نشاطهم تكون محدودة للغاية .

مثل هذه الروايات تجعلنا نفكر ونتساءل عما يجب القيام به فى مثل هذه الظروف ، وما الأحداث والخبرات والهواجس التى تحتشد فى مخيلتنا أثناء تلك الساعات الأخيرة من قبل أن نغدو من الموتى ؟ وما مدى إحساسنا بالسعادة أو بالندم ونحن نستعيد ذكريات الماضى ؟.

أحياناً أفكر فى أمر رائع ، وهو أن يحيا الإنسان كل يوم كما لو كان يموت غداً، ومثل هذا الاتجاه سوف يعزز من قيمنا الحياتية ؛ فيجعلنا نتحلى بدماثة الخلق والنشاط والامتنان ، تلك الأشياء التى افتقدناها فى سنوات عمرنا الخوالى ، وبالطبع هناك أيضاً من يتخذون من رهافة الذوق شعاراً فى مأكلهم ومشربهم ومرحهم ، ولكن معظم الناس سوف يتهذب سلوكهم وتتطهر أنفسهم من جراء إدراكهم لحقيقة الموت الموشك على الحدوث.

إن البطل الموشك على الموت فى الروايات ، غالباً ما يتم إنقاذه فى الدقيقة الأخيرة بضربة حظ ، ولكن غالباً ما يكون إحساسه بالقيم قد تغير ؛ فيصبح أكثر تقديراً لمعنى حياته وقيمه الروحية ، ومن الملاحظ أن هؤلاء الذين يعيشون أو عاشوا فى ظلال الموت يكتسبون قدراً من لين العريكة واللطف والحكمة فى كل شئ يقومون به.

ومع ذلك فإن الكثيرين منا يتعاملون مع الحياة كأمر مسلم به ، ونحن نعرف أننا لابد أن نموت فى يوم ما ، ولكن تصورنا لذلك اليوم أنه سيكون فى المستقبل البعيد ، خاصة عندما نكون فى صحة جيدة ، فإن أمر الموت يكون غير متخيل على

الإطلاق ، ونادراً ما نفكر فيه وتمر بنا الأيام فى اتجاه صورة ذهنية للمستقبل لا تنتهى ، ونتمادى فى ضيق أفقنا متغاضين عن توجهنا الخاطئ نحو الحياة ومعناها.

إن هذه اللامبالاة هى ما تميز تعاملنا مع وظائفنا الجسدية وحواسنا ، فالأصم من يقدر نعمة السمع ، والأعمى هو من يشعر بالنعمة التى يرفل فيها المبصر ، وينطبق هذا أكثر على من فقدوا سمعهم أو بصرهم فى سن متأخرة من حياتهم ، ولكن هؤلاء الذين لم يعانوا مطلقاً من عجز أو ضعف فى حاستى السمع والبصر نادراً ما يستخدمون تلك النعم الغالية بصورة كاملة ، فأعينهم وآذانهم تلتقط كل المشاهد والأصوات بطريقة ضبابية ، وبدون تمعن أو امتنان ، إنها هى هى القصة القديمة حيث لا نشعر بالنعمة إلا عندما نفتقدها ، وحيث لا ندرك أهمية الصحة إلا عند المرض.

أحياناً يتبادر إلى ذهنى أنه من الرحمة أن يبتلى كل إنسان بالعمى أو الصمم لأيام قليلة فى حياته ، فالظلام سوف يجعله أكثر تقديراً لنعمة البصر ، والسكون سوف يشعره بمتعة السمع .

من الآن فصاعداً سوف أختبر أصدقائى المبصرين حتى أكتشف ما يرونه ، مؤخراً زارتنى صديقة عزيزة كانت عائدة للتو من نزهة فى الغابة ، وسألتها ماذا لاحظت فى تلك النزهة ، فقالت لى : لا شئ على وجه الخصوص ، وربما شككت فى الأمر حيث لم أكن معتادة على مثل تلك الإجابات ، ومنذ زمن طويل أصبحت مقتنعة بأن المبصر لا يرى إلا قليلاً .

ولكم ساءلت نفسى كيف أن المبصر لا يرى إلا قليلاً ، وكيف يتجول المرء ساعة بين الغابات ولا يرى شيئاً يستحق الملاحظة ، فأنا التى لا ترى أستطيع أن أجد مئات الأشياء التى تثير اهتمامى من مجرد لمسة ، حيث أشعر بالتناسق الدقيق لورق الشجر ، وأمرر يدى بحب على اللحاء الناعم لشجرة القضبان الفضية ، وأستشعر لحاء شجرة الصنوبر الخشن ، وفى الربيع أتلمس فروع الأشجار باحثة عن برعم ، ينبئ عن استيقاظ الطبيعة من سباتها فى فترة الشتاء ، وأشعر بالابتهاج حين أتحسس السطح المخملى للزهرة ، واكتشف التفافاتها البديعة فأشعر كما لو أن شيئاً من معجزات

الطبيعة قد تكشف لى .

وأحياناً يبتسم لى الحظ حينما أضع يدى برفق على شجرة صغيرة ، وأشعر باهتزازها حينما يحط عليها طائر مغرد ، كما أسعد كثيراً حينما يندفع ماء الجداول البارد من بين أصابعى.

إننى أفضل سجادة مورقة من شجر الصنوبر والعشب الإسفنجى على أكثر السجادات الفارسية فخامة ، حقاً إن مواكب الطبيعة لأمر مثير ، ومتعة لا تنتهى .

وفى بعض الأوقات يئن قلبى شوقاً لرؤية كل هذه الأشياء ، فإذا كنت أسعد أيما سعادة من مجرد اللمسات ، فكيف ستكون الحال عندما أبصر كل هذا الجمال ، ومع ذلك فإن المبصر لا يرى إلا قليلاً ، فهو يعتبر أن كل هذه الألوان والأحداث التى تملؤ العالم أمراً عادياً ، وتلك طبيعة البشر ، فما نمتلكه لا نشعر بقيمته كثيراً ، وما لا نمتلكه يكون هو منتهى أملنا ، ومما يدعو للشفقة على هؤلاء المبصرين اعتبارهم أن نعمة البصر مجرد وظيفة جسدية فقط ، أكثر من كونها أداة لإثراء حياتنا ، وإضفاء الكثير من الزخم عليها.

لو كنت مديرة لجامعة لكنت قد قررت فيها دورة إجبارية فى كيفية استخدام العيون ، وسوف يحاول المعلم أنه يكشف لتلاميذه ، كيف أنهم يستطيعون إضافة معنى ومتعة لحياتهم ، من خلال رؤيتهم الصحيحة لأشياء كثيرة تمر من حولهم دون أن يلاحظوها جيداً ، أى أنه سوف يحاول أن يوقظ حواسهم وقدراتهم وملكاتهم الغافية.

وربما أكون أكثر وضوحاً ، حينما أتخيل أكثر الأشياء التى أود رؤيتها إذا كنت مبصرة ولنقل لمدة ثلاثة أيام ، وسوف أتخيل وأنت معى أيضاً كيف سأستخدم بصرى إذا أصبحت مبصرة لمدة ثلاثة أيام ، ومع اقتراب الظلام ثانية فى الليلة الثالثة بماذا ستشعر حين تعرف أن الشمس لن تشرق عليك أبداً مرة أخرى ؟ وكيف ستقضى تلك الأيام الثلاثة الاستثنائية ، وما أكثر شئ سوف تحدق فيه وتتفرسه ؟

ومن الطبيعى فإن أكثر الأشياء التى سأود رؤيتها هى تلك التى أصبحت قريبة إلى قلبى فى سنوات الظلام ، وأنت أيضاً ستفعل مثلى حين تلوح لك ذكريات تلك

الأشياء فى الظلام المطبق من حولك فيما بعد.

ولنفترض أنه حدثت معجزة ما ، وأصبحت مبصرة لثلاثة أيام على أن أعود للظلام ثانية ، فسوف أقسم تلك الفترة إلى ثلاثة أجزاء :

اليوم الأول ، سأود أن أرى هؤلاء الناس الذين جعلوا حياتى تستحق أن تعاش ، وذلك لحنانهم ولطفهم وطيب رفقتهم لى ، أولاً أحب أن أحدق ملياً فى وجه أستاذتى العزيزة السيدة «آن سوليفان» ميسى التى اعتنت بى وأنا طفلة ، وجعلتنى أرى العالم الخارجى ، لا أريد مجرد أن أرى وجهها لكى أبقيه فى ذهنى ومخيلتى ، ولكن لأتأمل ذلك الوجه وأجد فيه الدليل الحى على العطاء والعطف والمثابرة ، التى جعلتها تنجز تلك المهمة الصعبة ألا وهى تعليمى ، أريد أن أرى فى عينها قوة الشخصية ، تلك التى مكنتها من أن تقف بكل حزم فى مواجهة الصعاب ، أريد أن أرى فى عينيها ذلك الحنان الذى يغمر كل البشر ، والذى استشعرته من قبل .

أنا لا أعرف ماذا يمكن أن أرى من قلب الإنسان عبر مرآة روحه وهى العيون ، فأنا أستطيع أن أرى شكل الوجه بأطراف الأصابع فقط ، وأستطيع أن أتبين هل هو ضاحك أو حزين ، كماً تتبين لى العديد من المشاعر بوضوح ، فأنا أعرف أصدقائى من خلال الإحساس بوجوههم.

ولكننى بالطبع لا أستطيع تخيل شخصياتهم من خلال أفكارهم التى يطرحونها، أو أياً ما كان من الأفعال التى يقومون بها ، ولكنى أعتقد أننى سأفهمهم بشكل أعمق من خلال النظر إليهم ومن خلال مشاهدة ردود أفعالهم فى العديد من المواقف والظروف ، ومن خلال ملاحظة رد الفعل السريع لأعينهم وملامحهم.

وهناك من الأصدقاء من أعرفهم جيداً ، وهناك أيضاً من لا أعرفهم جيداً ، حيث يكون انطباعى عنهم غير مكتمل ، من خلال مجرد المصافحة أو تلمس شفاههم وهم ينطقون بعض الكلمات أو من خلال ما يكتبونه على راحة اليد.

وأنت أيها المبصر ، ما أسهل عليك أن تدرك سريعا الصفات الأساسية لشخص آخر ، بأن تشاهد تعبيراته أو اهتزاز عضلاته أو حتى ارتعاشه يده ، ولكن ، هل خطر ببالك يوماً ما أن تستخدم بصرك لتعرف شخصية صديقك ؟ أو لترى ما يجيش

بصدره ، أليس معظمكم يفهمون الناس من خلال تعبيرات وجوههم الظاهرية ويكتفون بهذا القدر ؟ هل تستطيع أن تصف لى على وجه دقيق وفى الحال وجوه خمسة من أصدقائك المقربين ؟ بعضكم يستطيع ، لكن الكثيرين لا يستطيعون ، فعلى سبيل التجربة ، سألت بعض الأزواج القدامى عن ألوان عيون زوجاتهم ،وفى أحوال كثيرة بدا عليهم الارتباك والحرج وسلموا بأنهم لا يعرفون. ودائمة هى شكوى الزوجات من عدم اهتمام أزواجهن بملابسهن وقبعاتهن الجديدة ، وعدم ملاحظتهم للتغيرات التى تطرأ على الأغراض المنزلية.

إن عيون المبصرين سرعان ما تألف الأشياء المعتادة من حولها ، ولا تلتفت إلا للأشياء المثيرة أو المروعة ، وحتى فى أثناء مشاهدة أكثر المناظر إثارة ، فإن العين تراها بشئ من الكسل ، وسجلات المحاكم توضح لنا كيف أن شهود العيان لا يرون الحوادث على نحو دقيق حيث تتضارب أقوال كل منهم إزاء الحادث نفسه .

ونعود إلى الأشياء التى سأود رؤيتها فى الأيام الثلاثة المفترضة ، فاليوم الأول سيكون مليئا بالأحداث ، فيجب أن أدعو كل أصدقائى الأعزاء ، وأطيل النظر إلى وجوههم ، التى سوف أحفرها فى ذاكرتى ، كذلك سأنظر ملياً إلى وجه طفل ؛ لأرى نظراته المتلهفة وجماله البرئ ؛ قبل أن تثقل كاهله صراعات الحياة.

كما أحب أن أنظر فى عيون كلابى المخلصة الأوفياء سكوتى الجميل الهادئ و داركى القوى ، و جريت دن الذكى ، كذلك أحب أن أرى هيلجا الحنون ومرحها المحبب إلى نفسى.

وفى اليوم الأول سأرى الأشياء البسيطة والصغيرة فى منزلى ، سأرى الألوان الدافئة للسجادات تحت قدمى ، والصور المعلقة على الحوائط ، وكل الأشياء القريبة إلى نفسى التى تجعل من المنزل وطناً ، كذلك سأنظر بمزيد من الإجلال لكتبى التى قرأتها بالطباعة البارزة ولكن عيونى ستكون متلهفة أكثر لرؤية الكتب المطبوعة للمبصرين ، فطوال حياتى المظلمة كانت الكتب التى قرأتها وقرئت لى بمثابة منارة عظيمة ، كشفت لى أبعاد الحياة وأغوار النفس الإنسانية.

وبعد ظهر اليوم الأول ، سوف أخرج للتنزه فى الغابات ، وأمتع عينى بجمال

الطبيعة وسأحاول قدر استطاعتى فى تلك الساعات القليلة ، أن أنهل من هذه الروعة الخلابة المتاحة دائماً أمام الناظرين ، وفى طريق عودتى من الغابة إلى المنزل سأمر بمزرعة لأرى الخيول الصبورة ، التى تحرث الأرض ، ولربما أرى المحراث فقط ، وسأرى الرضا والهدوء الذى يتسم به المزارعون ، وسأسجد لله من أجل عظمة غروب الشمس وألوانه البديعة .

وعندما يحل الظلام ، سأجرب تلك المتعة بأن أرى من خلال الإضاءة الصناعية ، التى ابتكرتها عبقرية الإنسان ؛ لتدعم رؤيته حينما تسدل الطبيعة أستار الظلام ، وفى المساء لن أستطيع النوم ، فعقلى سيكون زاخرا بذكريات ذلك اليوم.

وفى اليوم الثانى سأنهض مع الفجر لأرى لحظات الشفق ، تلك المعجزة المثيرة، حيث يتحول الليل نهاراً ، وتشرق الشمس لتوقظ الأرض النائمة .

هذا اليوم سوف أخصصه لإلقاء نظرة سريعة على العالم فى الماضى والحاضر، وأريد أن أرى مواكب تطور الإنسان والمشاهد المتغيرة على مر العصور ؛ ولذا سأتوجه إلى المتاحف ، كثيراً ما زرت متحف التاريخ الطبيعى فى نيويورك ؛ لألمس بيدى كثيرا من الأشياء المعروضة هناك ، لكنى طالما تمنيت أن أراها بعينى ، هناك تاريخ الأرض وسكانها ، وكذلك الحيوانات والأجناس البشرية المعروضة فى مواطنها الأصلية ، وهياكل الديناصورات الضخمة وكذلك حيوان الماستادون المنقرض ، الذى كان يعيش على الأرض قبل ظهور الإنسان والذى كان يتسم بقوامه الصغير وعقله الكبير ولذلك كان يتغلب على كل الحيوانات ، كما سأرى العروض التى توضح تطور الحيوانات والأدوات التى استخدمها الإنسان ؛ لينشئ لنفسه مسكنا آمنا على الأرض ، إضافة إلى الآلاف من مشاهد تاريخنا الطبيعى .

وهنا أتساءل : كم من قراء هذا المقال زاروا هذا المتحف المدهش واستمتعوا بتلك البانوراما من الكائنات الحية المصورة هناك ؟ بالطبع هناك الكثيرون منكم لم تواتهم تلك الفرصة ، ولكنى متأكدة أيضاً أن هناك من واتته الفرصة وزار هذا المتحف ، إنه حقاً المكان الأمثل لتمتع ناظريك ، فأنت أيها المبصر تستطيع قضاء عدة أيام ممتعة هناك ، أما أنا ومع أيامى الثلاثة المفترضة للإبصار ، سألقى نظرة

سريعة عليه ثم أمضى . محطتى الثانية ستكون فى متحف المتروبوليتان للفنون ، فإذا كان متحف التاريخ الطبيعى يوضح لنا المشاهد المادية للعالم ، فإن متحف المتروبوليتان يرينا الكثير فى أوجه النفس البشرية ، وعبر مراحل التاريخ الإنسانى يتضح لنا أن حاجة الإنسان إلى التعبير الفنى كانت من القوة ، لدرجة تقترب من حاجته إلى الطعام والمأوى والتناسل ، وهنا فى الغرف الفسيحة لمتحف متروبوليتان تتجلى أمامى روح مصر واليونان وروما ، كما تم التعبير عنها فى فنونهم ، فأنا أعرف جيداً – من خلال يدى – الآلهة المنحوتة لقدماء المصريين ، ولدى بعض النسخ المقلدة لهيكل الآلهة أثينا كذلك فإن فينوس و أبوللو هم أصدقاء لأطراف أصابعى ، وأيضاً هوميروس القريب إلى قلبى والذى طالما عانى من العمى مثلى.

لقد تحسست من قبل الأعجوبة المفعمة بالحياة للنحاتين الإيطاليين ، حيث تلمست الشخصيات المنحوته لرائعة مايكل أنجلو الحماسية والبطولية موسى وأعجبتنى كثيراً أعمال رودان كما أعجبت أيما إعجاب بالخشب المنقوش ذى الطراز الجرمانى ، تلك الأعمال التى يمكن أن ألمسها وأشعر بها تعنى لى الكثير ، أما حينما أراها فسيكون لها معنى أكثر وضوحاً ، فعندما أتحسس إناء يونانيا فإنى أعجب بخطوطه الخارجية فقط ، أما شكله الجمالى فيظل خفيا بالنسبة لى.

وفى اليوم الثانى أيضاً سأحاول أن أسبر غور النفس الإنسانية من خلال الفن ، فالأشياء التى عرفتها من خلال اللمس لابد وأن أراها الآن ، فمازال هناك المزيد من الروائع فى انتظارى ، حيث العالم المدهش للرسم ، بداية من الرسامين الإيطاليين الأوائل وأعمالهم الدينية الجليلة ، إلى الرسامين المحدثين برؤيتهم المحمومة للحياة ، وسوف أطيل النظر للوحات رافييل و ليوناردو دافنشى و تيتيان و رامبرانت وكذلك سوف أستمتع بمشاهدة الألوان فى أعمال فرونزى كما أننى سأحظى برؤية جديدة للطبيعة من خلال أعمال كورو . يا للجمال والمتعة التى تشعر بها أيها المبصر ، حى تشاهد تلك الفنون البديعة !!!.

فى أثناء زيارتى السريعة لمبعد الفن هذا ، لن أستطيع تفحص عالم الفن العظيم جيداً وهو متاح أمامك دائماً ، ولكن سيكون لدى انطباع سطحى فقط ، ولقد أخبرنى الفنانون أنه لكى نقيم عملا فنيا ما بشكل موضوعى وصحيح ، فلابد أن نراه

ونتفحصه كثيراً ، وبالخبرة سوف يتسنى لنا أن نعرف مدى جمال الخط والتعبير والشكل والألوان ، وكم ستكون سعادتى حينما أفعل ذلك وأنا مبصرة ، ومع ذلك فإن عالم الفن مازال مبهماً لكم أيها المبصرون.

الآن سوف أودع المتروبوليتان رغماً عنى ، ذلك المتحف الذى يحوى مفتاح الجمال ولكنه جمال لطالما كان مهملاً ، والأشخاص المبصرون يستطيعون أن يجدوا الجمال فى أى مكان وليس فقط فى المتروبوليتان فهم يجدونه أيضاً فى متاحف أخرى ، وفى الكتب فوق أرفف المكتبات ، ولكننى فى جولتى الافتراضية هذه انتقيت المتروبوليتان لأن ذلك هو أقصر طريق لاكتشاف كنوز الجمال العظمى .

وفى مساء اليوم الثانى ، من المفترض أن أذهب إلى المسرح أو السينما ، بالرغم من أننى حضرت العديد من العروض المسرحية ، وكان من يرافقنى يكتب لى فى راحة يدى كل ما يدور على المسرح ، إلا أننى لا أصدق الآن أنى سأرى شخصية هاملت بأم عينى . يا له من شعور رائع حين أتتبع حركات وسكنات هاملت الجميل . وبما أننى لن أرى سوى مسرحية واحدة ؛ فإن ذلك سيوقعنى فى مأزق كبير ، فهنالك العديد من المسرحيات التى أود أن أشاهدها . وإنى لأتساءل كم منكم أيها المبصرون يقدر نعمة البصر ويشكر الله عليها ، حينما يشاهد عروض مسرح بديع ، أو فيلما متعا ؟

الآن سأستطيع أن أستمتع بجمال الحركات الإيقاعية دونما مساعدة من أحد ، لقد كنت أستمتع ببعض من بهجة الإيقاع حيث كنت أشعر بضربات الموسيقى من خلال الاهتزازات التى تحدثها فى أرضية المكان ، وإنى لأتخيل أن الحركات الإيقاعية هى واحدة من أكثر الأشياء الممتعة فى العالم ، فإذا كان الجمال الساكن الممثل فى التماثيل المنحوتة يبهرنى من خلال تلمسها فقط ، فكيف سيكون الأمر حينما أرى جمالاً متحركاً فى تلك العروض .

لقد كانت واحدة من أعز الذكريات لدى ، حينما جعلنى جوزيف جيفرسون أتحسس وجهه ويديه فى أثناء إحدى أحاديثه إلى محبوبته ريب فان وينكل ، لحظتها استمتعت بلقطة صغيرة من عالم الروايات ولن أنساها ما حييت ، وأنتم أيها

المبصرون، يا لها من متعة عظيمة لكم حينما تشاهدون وتستمعون إلى الحركات والأحاديث فى تلك العروض المسرحية ، أما أنا فإذا استطعت أن أشاهد مسرحية كاملة ؛ فسوف أعرف كيف أصور فى عقلى مئات الحركات والسكنات ، التى قرأتها أو التى ساعدنى أحدهم فى استيعابها من خلال الكتابة على يدى .

أما فى مساء ذلك اليوم فإن الشخصيات العظيمة لذلك الأدب الدرامى سوف تحتشد فى عقلى وتطرد النوم من عينى .

وفى الصباح التالى ، سوف أرحب بقدوم الفجر مرة ثانية ، وأنا فى اشتياق لاكتشاف المزيد من المباهج ، فالفجر ميلاد جديد للطبيعة كل يوم عند المبصرين الذين يرون بحق .

اليوم الثالث ، وهو آخر أيام رؤيتى وفقاً لشروط تلك المعجزة الافتراضية ؛ ولذلك لم يعد لدى وقت أضيعه فى الندم أو التمنى فما زال لدى الكثير، ففى اليوم الأول رأيت أصدقائى والناس والجمادات ، وفى اليوم الثانى استكشفت تاريخ الإنسان والطبيعة ، وأما اليوم فسوف أقضيه فى عالم الحاضر ، حيث سأتواجد بين البشر الذى يسعون لكسب عيشهم ، وأين أجد مدينة أكثر من نيويورك حيث الكثير من أنشطة البشر وأحوالهم ، ولذلك فتلك المدينة ستكون وجهتى المقبلة .

سوف أبدأ الرحلة من منزلى فى ضاحية فورست هيلز الهادئة الصغيرة فى لونج أيلاند حيث المنازل الأنيقة الصغيرة والمحاطة بالمروج الخضراء والأشجار والزهور، والسعيدة بأصوات الزوجات ولهو الأطفال ، وحيث المأوى الآمن للأزواج من شقاء المدينة .

وسوف أمشى على امتداد السور الحديدى المزخرف للنهر الشرقى ، وسوف أحظى برؤية جديدة ومثيرة لقدرة العقل الإنسانى وإبداعه ، وسوف أرى الزوارق المنطلقة سريعاً من النهر وسباقات السرعة . وآه لو كان لدى المزيد من الوقت ، لكنت قد قضيت جزءاً كبيراً منه فى مشاهدة تلك النشاطات النهرية المبهجة .

بعدها سأمضى قدماً ، لأجد أمامى أبراج نيويورك الرائعة المشرقة ، تلك المدينة التى تبدو كما لو كانت قد قفزت من صفحات قصة خيالية ، يالروعة تلك

الأبراج المتألقة والبنوك الكبيرة المبنية من الصخر والمعدن !! وما أعظم تلك التماثيل التى تبدو كما لو أنها منحوتة بيد الآلهة !! هذه المناظر المفعمة بالحيوية ما هى إلا جزء من حياة ملايين البشر كل يوم ، وإنى لأتساءل كم من هؤلاء البشر أمعن النظر فى كل هذه الأشياء ، وإنى لأعرف أنهم قليلون جداً فأعين البشر قد عميت عن هذه المشاهد الجميلة ؛ لأنها أصبحت مألوفة بالنسبة لهم.

سوف أسرع إلى قمة واحد من أضخم المبانى وهو إمباير استيت ، لقد زرت هذا المبنى منذ زمن قصير ورأيت المدينة من أسفل عبر عيون مرافقتى الحبيبة ، لكنى قلقة من مقارنة الصورة التى رسمتها فى خيالى للمدينة بالصورة الواقعية ، ولكنى متأكدة أننى لن أصاب بالإحباط ، فعلى الأقل سوف أحظى برؤية عالم جديد.

والآن سوف أبدأ تجوالى فى المدينة ، أولاً سوف أجلس فى ركن ملىء بالنشاط والحركة وأكتفى بمشاهدة الناس من حولى ، فى محاولة أن أفهم جانباً من حياتهم من خلال النظر إليهم ، فالمرء يبتسم حينما يكون سعيداً ، ونرى فى عينيه قوة العزيمة حينما يكون نشيطاً ، كما نراه متألماً حينما يكتنفه العطف والإشفاق .

بعدها سأتجول فى الشارع الخامس ، ولن أركز على شىء واحد ، وإنما سأحاول أن أرى كل الألوان المشرقة من حولى ، وإنى لعلى ثقة أن ألوان ملابس السيدات التى يموج بها الشارع ستكون من أبهى المناظر التى لن أتعب أو أسأم من رؤيتها أبداً ، وإنى لأتوقع إذا كنت مبصرة فسوف أكون شديدة الاهتمام مثل معظم النساء بالتصميمات الفريدة للملابس وبألوانها ، وأنى على يقين أيضاً أننى سأدمن استعراض واجهات المتاجر حيث إنه من المبهج رؤية آلاف السلع الجميلة المعروضة للعيان.

إنك إذا كنت أعمى مثلى ، فإن عينيك سوف تحملقان فى كل ما لم تره من قبل ، وسوف تختزن الذكريات لتؤنسك فى الليل الطويل المقبل ، وسوف تستخدم عينيك كما لم تستخدمها من قبل ، وكل ما تراه سوف يكون قريباً من قلبك ، وعيناك سوف تلمس وتحتضن كل ما يقع فى محيط رؤيتك ، وأخيراً عليك أن ترى كما يجب أن تكون الرؤية ؛ ومن ثم فإن عالم الجمال سوف ينفتح أمامك على مصراعيه .

إن إنسانة عمياء مثلى ، تستطيع أن تعطى نصيحة للمبصرين الذين يريدون

الاستخدام الأمثل لنعمة البصر ، ألا وهى أن تستخدموا أعينكم كما لو كنتم ستصابون بالعمى غداً ، وبالطريقة نفسها تستخدمون كل حواسكم الأخرى ، استمعوا إلى نغم الأصوات وإلى تغريد الطيور وإلى الألحان العظيمة كما لو كنتم ستصابون غداً بالصمم، والمسوا كل شئ تودون لمسه كما لو كانت حاسة اللمس لديكم ستتلاشى غداً ، واستنشقوا عطر الزهور ، وتلذذوا بتذوق كل لقمة من طعام ، كما لو أنكم غداً لن تستطيعوا الشم أو التذوق أبداً.

استخدموا حواسكم على الوجه الأكمل ، وتلمسوا أوجه العظمة فى كل المتع والجمالات التى تتيحها لكم الطبيعة عبر وسائل جديدة للتواصل ، وإنى متأكدة أن حاسة البصر هى الأفضل من كل الحواس .

ابحث عن السبب Seek the Cause

المصدر : مجلة المنزل عدد مارس ١٩٣٣

غالباً ما نستمع لمقولة مفادها : إن الأطفال لا يستطيعون أن يظلوا فى حالة سكون لمدة دقيقتين متصلتين ، وإذا حدث ذلك بالفعل ، فهذا يعنى أن الطفل غير طبيعى ، ولكن ذلك لا يعنى أن حركته سببها الملل وعدم الراحة ، بل تأتى تحت عنوان تحركات بلا أهداف ، والطفل السليم لن يتحرك دون هدف ، إلا إذا كان هناك شئ ما يؤرقه.

وتعتبر الحركة المستمرة شيئاً ضرورياً كى ينمو الطفل جسمانياً ، نعم هناك بعض الأوقات التى تستلزم منه السكون عند حضور زوار إلى المنزل مثلاً ، ولكن ماذا تفعل وهناك مخلوق صغير يندفع من حجرة إلى أخرى ، مبعثراً ألعابه تحت مختلف قطع الأثاث بالمنزل ، وعليك عندئذ أن تحاول أن تتذكر أحد الأشياء التى أثارت اهتمامه بشكل لافت فى اليوم أو اليومين السابقين ، واستفد من هذا الأمر ، فمثلاً قد تكون قد رأيته صبيحة هذا اليوم وهو يضع المفتاح فى الكالون وأخذ يحاول فتحة ، عندئذ قم بإعطائه مفتاح أحد الأبواب واسأله : فى أى شىء نستخدم هذا ؟ وفى كل الأحوال – سواء أجاب أو لم يجب – فإنه سيلتقط منك المفتاح ويحاول أن يبتعد به عنك ، وستندهش للزمن الذى سيقضيه منشغلاً بهذا المفتاح.

لا ضرر من الطفل الذى يستهويه القيام بنشاط ما ، ولهذا فلا توجد ضرورة للتبرم أو الانفعال ، وأعتقد أن التجربة والملاحظة قد علماك أن الطفل يثير المشاكل كلما حاولت أن تقوم بعمل الأشياء نيابة عنه ، إنك فى عجلة من أمرك وعليه فإنك لا تعطيه الوقت الكافى كى يعبث فى الأشياء ويناضل من أجل الوصول إلى مراده ، فعندما تحاول أن تلبسه الجورب لأنه لا وقت لديك كى تتركه يفعل ذلك ببطء وبدون دقة ، فقد تكون ردة فعله التبرم والتحرك السريع ، ومقاومته هذه ليست إلا علامة على إحباطه.

والحقيقة أننى لا أعنى أن الطفل ينبغى أن يفعل كل ما يريده بالطريقة التى يريدها ، أنا لم أقصد هذا ، ولكنى أقصد أنه من الخطأ أن نقاوم الغرائز الطبيعية للطفل.

وهناك طريقتان لتدريب الطفل على الطاعة ، الأولى هى الطريقة التقليدية التى تقوم على الإكراه والعقاب إذا حدث عصيان. والثانية هى البحث عن ما يستطيع الطفل أن يقوم به ، بمعنى آخر معرفة الوقت الذى يسعد فيه الطفل عندما يطيع ما يطلب منه ، وعند تحديد تلك المواقف يمكن بكل سهولة تشكيل عادة الطاعة عنده لأنه تعلمها بشكل طبيعى وغير متكلف ، فالحقيقة أن تشكيل العادات الحسنة أو حتى السيئة شئ سهل جداً إذا حدث منذ البدايات الأولى مع الطفل الصغير.

حاول أن تتخيل مدى الألم الذى يعتصر الطفل الصغير ، الذى يجلس ساكناً دون حراك على مائدة الطعام والكبار يتبادلون أطراف الحديث ، أو عندما يجلس ساكناً فى المدرسة والمعلمة تستغرق وقتاً طويلاً ؛ لترسم شيئاً ما على السبورة ، أعتقد أنك لو تخيلت ذلك ، فلن تعجب من تبرم الطفل ، والتوائه من رأسه حتى قدميه.

لا يوجد طفل يمكنه أن يتعلم أن يجلس ساكناً ، ولكنه يتعلم أن يكره معلمته ومحاولاتها للتدريس له ، وعندما نثقل الطفل بالقيود ، فنحن نضيف معاناة إلى ألمه من الجلوس ساكناً ، وعليه ينبغى أن ندرب الطفل باستخدام أساليب تلقائية مرحة ، نطلب فيها منه أداء حركات بسيطة نطلبها منه ،وعلينا أن نتجنب فى تدريباتنا له كل ما يعلمه عدم ضبط النفس ، أو عدم الاعتماد على النفس فى الأداء.

فعندما يذهب الطفل إلى المدرسة ، يجب أن نقدم له الأشياء التى يجب أن يفعلها ، فقد نطلب منه أن يساعد فى ترتيب حجرة الدراسة ، ووضع الأثاث فى مكانه، وهناك بعض الأشياء الشخصية البسيطة التى يمكن أن نكلفه بها ، مثل تعليق معطفه أو غطاء الرأس ، ويقوم بغسل يديه وتصفيف شعره وتنسيق مكتبه ، أما إذا قمنا بعمل هذه الأشياء للأطفال ؛ فنحن بذلك نقتل عندهم روح المبادرة ونحرمهم من اكتساب عادات الانضباط ، وإذا أعطينا الطفل هذه الفرصة ؛ فسنكتشف أنه سيستغل كل فرصة ليقوم فيها بالتحركات كى ينجز مهام حياته اليومية.

لقد شاهدت من قبل طفلة وهى تسلى نفسها لعدة ساعات ، بحياكة مجموعة من الأزرار فى قطعة من القماش ، وبعمل فتحات لإدخال تلك الأزرار فى قطعة أخرى .

والطفل الذى يتصرف بشكل عشوائى وغير منضبط ، هو طفل يتعرض جهازه العصبى لضغوط عديدة ، فى حين أن أداء جهازه العصبى سوف يتحسن ، إذا ما تم توجيهه بطريقة ذكية للقيام بأنشطة إيجابية .

ويقع الآباء والمعلمون فى خطأ فادح ، إذا طلبوا من الطفل أن يتبع نمطاً محدداً من التصرفات ؛ لأن الطفل يصبح سلبيًا ومتمرداً، ويرفض إطاعة أبسط الأوامر التى ينبغى عليه أن يطيعها ، وإنى أرى أن الكبار يخفون توترهم وعدم صبرهم تحت عباءة النظام .

ومن ناحية أخرى فمن الخطأ أيضاً أن نجبر الطفل على الطاعة ، بتهديده بأنه سيفقد حب من حوله أو بالضغط على مشاعره العاطفية ، فينبغى ألا نقول للطفل أشياء مثل : ماما لن تحبك إذا فعلت ذلك ، أو شقاوتك أتعبت قلب ماما ، وما شابه ذلك، لأن مثل تلك الأقاويل تضع ضغوطاً كبيرة على الطفل ، وغالباً ما ينتهى الأمر بنتائج غير سعيدة .

وينبغى على من يتعاملون مع الأطفال ، أن يبذلوا المزيد من الجهد للبحث عن سبب شقاوة الأطفال وتبرمهم ، وبعد ذلك يجب أن يتعاملوا مع السبب وليس الأعراض ؛ لأن عدم الراحة والسلوك المتبرم دليل على وجود شعور بالإحباط عند الطفل ، فربما يكون الطفل فى حاجة فقط إلى مزيد من الانتباه أو الحب ، أو بيئة أكثر هدوءاً ، أو حتى فى حاجة إلى المزيد من النوم .

وهناك شيء أكيد وهو أن الانضباط الحقيقى الذى ينمو داخلياً ، هو الانضباط الذى يدوم ، وهو الانضباط الذى يبنى الشخصية .

يوم عيد الميلاد هو يوم الأطفال

Christmas day is children's day

المصدر : مجلة المنزل عدد ديسمبر ١٩٣١

«لا تمنح أطفالك إلا الأفكار التى ستجعل حياتهم ممتعة وعظيمة وشريفة».

فى أثناء فترة أعياد الميلاد تنشغل عقول الآباء بأطفالهم ، فيفكرون فيما سيجلب لهم السعادة ، فما أحلى أن تتجمع الأسرة حول شجرة عيد الميلاد ، ووجوه الأطفال تتوهج بريقاً وأيديهم ممسكة بالهدايا الثمينة ، وأصواتهم تشبه رنين الأجراس، التى تملأ البيت بالأهازيج الموسيقية البهيجة ، حقاً إن يوم عيد الميلاد هو يوم الأطفال.

وإنى أتساءل ماذا لو أعطى الآباء مزيداً من الوقت لآبائهم فى الأيام الأخرى ؟ لماذا لا يتحول كل يوم إلى وقت مملوء بالمرح يستحق اهتمام الأطفال ؟ إن على الآباء أن يفعلوا ذلك حتى يزيدوا من اهتمام الأولاد والبنات على السواء بدراستهم ، ومازلت أذكر كيف كانت معلمتى تستثير فينا الرغبة فى التعلم ، عنما كانت تتحدث معنا طوال الدرس ، كما لو كانت هى نفسها طفلة صغيرة.

ما أجمل الطريقة التى قدمت لنا بها عملية الجمع فى مادة الحساب ، وما أروع الطريقة التى وصفت لنا بها النهر ، بأن رسمت مجرى النهر فى وسط الرمال ، وكان جميلا منها أن وضعت بعض الحجارة الكبيرة والصغيرة على الضفتين ؛ لتصور لنا المدن التى يمر بها ذلك النهر.

هذه الطريقة لمرافقة عقول الصغار لها جليل الأثر فى تربية الأطفال ، وبخاصة بطىء التعلم الذى إذا ترك ليحاول بمفرده سيصاب بالإحباط ، خصوصاً إذا رأى بأم عينه رفقاءه وهم يسبقونه ، وعليه فيمكن للآباء أن يقدموا كل المساعدة لمثل هذا الطفل ؛ كى يتغلب على الصعاب التى تواجهه فى التعلم ، ويدربوه على كيفية قهر العجز وتحطيم حاجز الحرج الذى قد يعانى منه ؛ ومن ثم يعوق تعلمه ، فقد تفلح مقولة مثل : قد يكون للبطئ ميزة عن السريع الذى لا يحكمه عقل صبور قد تفلح تلك المقولة فى زرع الثقة فى نفس الطفل بطىء التعلم.

والحقيقة أن الآباء المشغولين دائماً لا يريدون أن يضحوا بقليل من الوقت من أجل هذا الهدف النبيل ، ألا وهو إسعاد الطفل المتأخر دراسياً ، فمثلاً عندما يعود إلى المنزل من المدرسة ما عليك إلا أن تجعله يرى مدى اهتمامك بما فعله بالمدرسة ، وأعطه الفرصة ليتحدث عن المواد الدراسية والمعلمين ، ولا تنتقد أفعاله أمام الآخرين، ولا تتظاهر أمامه بأنك مهتم به ، وأنت في الحقيقة مشغول عنه ؛ لأنه سيدرك ذلك وسيعلم عدم صدقك ؛ بما يشعره بعقدة النقص ، أما عندما يراك وأنت تستمع إليه بإخلاص ؛ فإنه سيشعر بالثقة.

لا تنعزل عما يدرسه الأبناء ، اطرح عليهم الأسئلة ، ولكن ليس بنية اختبارهم، اسألهم بشكل بهيج يظهر اهتمامك بهم ، فمثلاً ربما تكون قد سافرت من قبل إلى إحدى المناطق التي يدرسونها في الجغرافية ، فحينئذ تحدث معهم عن تلك المناطق ، وابحث معهم عن معاني الكلمات في المعجم ، ودربهم على كيفية استخدام دائرة المعارف والأطلس.

وإذا شعرت فعلاً بالاهتمام بما درسوه ؛ فسوف يستشعر الأبناء ذلك من خلال حماستك وسيؤدى ذلك إلى استمرارهم في معاودة الحديث معك فيما بعد ؛ وإلى إقبالهم على المعرفة والسرور يملؤهم ، وسيكون ذلك بمثابة همزة الوصل بينك وبين أبنائك ، وهذا الرباط سيجعلك تسعد بكل تقدم يحرزونه ، بل وتسعد بإدراكك لعقولهم .

وإني لأتعجب من أولئك الآباء الذين يمكنهم أن يؤثروا إيجابياً في حياة أبنائهم، فلا يفعلون ويولون اهتمامهم ووقتهم الثمين ، نحو أشياء كالسينما ولعب الأوراق و حفلات النميمة.

وإذا ما سعى الآباء لأن يكونوا بمثابة الرفيق لأبنائهم ، فما أسعد ذلك المنزل الذي يعيشون فيه ، أما المنزل الذي يسمع فيه الأبناء الكلام الذي ينتقد الحياة الأسرية أو الحب أو الدين أو الطبيعة البشرية ؛ فسيؤدى ذلك حتماً إلى قتل بذور الخير في قلوبهم ، وهدم منظومة القيم لديهم ، وسينمو عندهم الشعور بعدم الثقة في المثاليات ، وسيؤدى ذلك إلى شكهم في العدل والأمل والطموح.

وإذا كان لدى الصغار المحيطين بك شعور بالشك فى كل ما هو مقدس ، فعليك أن تدرك أنك المسئول عن ذلك ، لأنك ربما تكون قد همست بكلمات إلحادية مرقت من خلال آذانهم.

وعندما يأتى اليوم الذى يشب فيه الأبناء ويستعدون لدخول مملكة الله ، فعليك أن تدقق فى آرائك التى تنبع من أعماق قلبك ، ثم انقل لهم الآراء التى ستجعل حياتهم ممتعة ، وعظيمة ، وشريفة .

الاختيار العظيم The Great Choice

المصدر : مجلة المنزل عدد يناير ١٩٣٢

قد تكون بداية العام الجديد فرصة التفكير فى المشكلات التى تغلف العالم بأسره، وتقع علينا - نحن النساء - مسئولية الاختيار العظيم ، فنحن نستطيع إما أن نبنى عالما مملوءا بالجمال والإنسانية ، أو أن نعطى الفرصة لرجال السياسة والمنتفعين لأن يزجوا بنا فى كارثة عالمية أخرى ، وما علينا إلا أن نتأمل جدياً هذين الاختيارين، وإذا ما أقررنا خيار السلام فالخطوة التالية على اختيارنا ينبغى أن تكون البحث عن أفضل السبل لتحقيقه.

والركيزة الأساسية للعمل من أجل السلام هى أن نبدأ بالأطفال ، فيجب أن لا نغرس فيهم كراهية الشعوب الأخرى عندما ندرس لهم التاريخ والأدب ، بل يجب أن نعمل على ألا يستحوذ أبطال الحروب على إعجابهم ، وأن نروى لهم الملاحم الشائعة للأبطال من شتى البلاد ، أولئك الأبطال الذين قهروا الظلمات التى بداخلهم ، وروضوا قسوة الطبيعة التى تحيط بهم.

قد يصعب علينا أن نؤلف صداقات بين أطفال العالم فى السنوات المبكرة ؛ بسبب قلة قراءاتهم ، فالقراءة عامل مهم فى تنمية مشاعر دولية حسنة لدى الأطفال ، فالكتاب يعطى وصفاً دقيقاً لحياة الأمم ؛ فيستشعرون شخصية الحضارات الأخرى ومدى إنسانيتها ، تلك الحضارات التى قد تبدو لهم - بدون الكتاب - غريبة أو معادية ، ومنذ حوالى قرن مضى قال جورج واشنطن إن التطرف فى الكراهية ، والإفراط فى التودد لدول بعينها سلوكان معاديان لتقدم البشرية ، ويلزم التخلص منهما.

يجب أن نربى أطفالنا على الإحساس بوجود أبطال السلام ، وأن بطولة السلام هى أعلى مراتب الشجاعة ، وإذا كنا نمتلك أوسمة وأنواطا لأبطال الحرب ، فلماذا لا نمتلك أوسمة أو أنواطا لمن لديهم إبداعات أو تصورات أو مبادرات خاصة بتعزيز السلام ؟!!

كما ينبغى أن تكون لدينا منظمات للسلام تعمل أكثر مما تتكلم ، فنحن لدينا

معاهـدات واتفاقيات وتحالفات للسلام ، تقضى أوقاتها فى مقايضة المشكلات القديمة بأخريات جديدة ، أو فى التخلص من الأسلحة التى لن تستخدم فى الحرب القادمة.

وأى إنسان عاقل يدرك أن السلام لا ينبغى أن يترك للحكومات فركيزتها الأساسية القوة ، ومن ثم فهى تلجأ حتمياً للأعمال العسكرية ، من أجل الدفاع عن سطوتها ، بل وتوسيع مداها.

وأحد السبل الفاعلة للحيلولة دون الحرب ، رفض القيام بأى شئ يساعد فى إنتاج الذخائر والأسلحة ، وعلينا أن نلح فى وقف بناء الأساطيل البحرية ، وتصنيع الغازات ، وتأسيس القوات الجوية التى لا تهدف إلا لإبادة البشرية.

إن صيغ السلام هى أعظم احتياجاتنا المهمة فى الوقت الراهن ، وينبغى أن يعم السلام سريعا ، ويكون هاديا للبشر كشعاع ينير فى وسط الظلام ، وينبغى أن يحمل فى طياته أمراً عسكرياً مفاده : أنت .. يجب ألا تقتل .

إن السلام والرخاء الدائمين لن يتحققا ، إلا إذا أدركنا وآمنا طوال حياتنا بحقيقة أننا نعيش ببعضنا ومن أجل بعضنا ولا نعيش لأنفسنا ، ويجب أن نعمل معا من أجل عالم يقوم على السلام ، فلا يوجد هناك أبداً هدف أسمى من السلام حتى نناضل من أجله ، ولا بديل للسلام إلا أشد المآسى التى عانت البشرية من ويلاتها ، ولم تكن احتمالية قيام حرب تحمل رعباً فى الماضى كالذى تحمله فى أيامنا هذه ، وهذا ما يدركه أولئك الذين يعرفون أنواع الذخائر والأسلحة الحربية التى توصلت إليه الأبحاث والتى تم تصنيعها فى أماكن متفرقة فى العالم.

ومن هذا المنطلق فإن علينا نحن النساء أن نلقى بثقلنا فى كفة السلام ، فالنساء يستطعن أن يمثلن قوة تخدم السلام بشكل أعظم مما يتصورن ، فدورنا ليس مجرد تعليم الأطفال مزايا السلام ، ولكننا نستطيع أن نؤثر فيمن حولنا ؛ حتى نسهم فى استمرارية أمجاد دولنا ، ولنولى ظهورنا للطريق المخضب بالدماء ونمضى قدماً صوب السلام ، وبهذا فقط يمكن أن تترجل أقدامنا فوق طريق المستقبل.

العودة إلي الدراسة Going Back to School

المصدر : مجلة المنزل عدد سبتمبر ١٩٣٤

لقد حل سبتمبر ، وانتهى وقت الأجازة ، وسيعود كل الأطفال إلى المدرسة ، ولطالما أطلق على التعليم الولع الأمريكى فنحن ننفق الكثير من المال على التعليم ، ربما أكثر من أية دولة أخرى فى العالم ، ففى الثلاثين عاماً الأخيرة زاد الإقبال على التعليم الثانوى خمسة عشر ضعفا للزيادة السكانية ،على حين أن الزيادة فى التعليم الجامعى كانت سبعة أضعاف ، لكن الملاحظة المتروية تظهر نقص الثقافة عند الناس، وإذا كانت هذه هى الحقيقة ، فأين يقع الخلل فى نظامنا التعليمى ؟!.

إن إجاباتى عن هذا السؤال تنحصر فى نظرة الآباء والمعلمين إلى الأطفال على أنهم مجرد مأمورين أو مسخرين ليقوموا بعمل ما ، وهم بذلك يغفلون القيم الأخلاقية ، ولا يعتنون بإعداد الرجال والنساء للمستقبل ، فالتربية يجب أن تدرب الطفل على أن يستخدم عقله ، وأن يحدد لنفسه مكاناً فى العالم الذى نحياه ، ويحافظ على حقوقه حتى فى أحرج لحظات حياته.

والتعليم لا يعنى أن نفوق المحيطين بنا ونسيطر عليهم ، ولكن التعليم يعنى تنمية مواهبنا وشخصياتنا ، ويدفعنا لاستخدام إمكاناتنا بصورة خلاقة ، فلا معنى لأن نحصل على درجة جامعية ، أو نكشف حقيقة علمية جديدة ، إذا لم نكن قد طورنا مشاعرنا وتفاهمنا مع الآخرين ، حينئذ فقط نصبح متعلمين ، فلا قيمة للتعليم إلا عندما نوظفه بصورة صحيحة.

وكما أن الماء والهواء ضروريان كى نحيا ، فإننا لا بد أن نتعلم فى المدرسة أن نحب المحيطين بنا ، وأن نغرس فيهم حب اللعب النظيف ، والكرم ، ومراعاة الآخرين ، هذا من أجل تنشئة الأطفال الأسوياء ، وغالباً ما قد يبدو طفل ما غبياً ، وذلك لأن والديه ومعلميه لا يتمتعون بالصبر ، أو مشغولون ؛ مما يصعب من فرص اكتشافهم لمجال اهتماماتهم.

وعليه فيجب على التربويين أن يكتشفوا مجال اهتمام الأطفال ، ودراسة الوقت الذى يضيع فى تدريس أشياء لا تعنى أى شىء على الإطلاق لهؤلاء الأطفال.

والآن اسمحوا لى أن أعرض لكم إحدى خبراتى الشخصية ، توضيحا لما أقصد، فعندما بدأت معلمتى فى تعليمى ، كانت ترى أن العجز الجسدى الذى أعانى منه يحد من المواد الدراسية التى يمكن أن أدرسها واستفيد منها ، فلقد كانت تعلم جيداً أن طموحاتى لم تكن لترتقى حتى تكون مساوية لمن لا يعانون من فقدان الحواس ، وعليه فلقد قامت بتدوين الأشياء التى يمكن أن أؤديها وأنجح فيها ، ثم شجعتنى على تطوير حاسة اللمس عندى ، ليس فقط اللمس بأصابعى ، ولكن بكل جزء فى جسدى ، ودربتنى على ملاحظة كل شئ وكل إحساس ، وعلى الكتابة حول ملاحظاتى وإحساسى.

وفى كل دقيقة من ساعات اليوم كانت تؤكد – بطريقة ما أو بأخرى – على أهمية التعبير عن الذات ، وكنت أكره تدريبات الكتابة ، فلم تكن مهمة سهلة بالنسبة لى ، ولكن معلمتى كانت تشرح لى كيف أن مهارة الكتابة هى اللعبة الوحيدة ، التى من الممكن أن ألعبها ، وأكون فيها ندا للآخرين.

كانت تقول لى لا بد أن تتعلمى حتى تكتشفى متعة التعبير عن الذات ، فهذه هى الطريقة الوحيدة التى يمكن أن تصلى بها إلى قلوب عامة الناس وعقولهم .

وعلى ذلك أؤكد أن التعليم الحقيقى هو مقدرتنا على أن نؤدى الأشياء بإتقان ، مهما كانت بساطة تلك الأشياء ، مثل كنس الحجرة بعناية فائقة ، وبنفس راضية.

إلي الفتيات الذاهبات إلي الجامعة

المصدر : مجلة رفيق الشباب عدد ٨ يونيو ١٩٠٥

إلى الفتيات الذاهبات إلى الجامعة ، لقد تخرجتن فى المدرسة الابتدائية وانتهيتن من مدارسة القواعد النحوية ، وكذلك المدرسة العليا ، وها أنتم فى صباح يونيو الحالى البهى تقفن حيث يلتقى الغدير بالنهر ، لقد مرت أيام الطفولة وولت ، وفى انتظاركن حياة غير واضحة المعالم ، لأنكن تقفن على أعتاب الجامعة ، التى ستلتحقن بها فى سبتمبر القادم.

لا عجب أن تنظرن بكل جدية وتفكير ملى ؛ لأنكن لم تمررن من هذا الطريق من قبل ، لقد جاء اليوم الذى ينبغى عليكن أن تنحين جانباً ألعاب الطفولة بأيديكن اللطيفة ، وتتركن عن طيب خاطر ما ألفتنه من عادات وما اكتسبتمنه من صداقات فى أيام الصبا ، وتدخلن بوابة الجامعة – بعيداً عن الأصدقاء والقائمين على رعايتكن – حيث المسئوليات الأكبر ، والمتع الأجمل التى تختص بعالم النساء الناضجات ، والحياة الآن التى تنتظركن مختلفة جداً ، وفائقة الجمال وتختلف كلية عن سابقتها.

وها هى عقولكن مليئة بتوقعات سعيدة ، باعثها القوة التى يستثيرها المستقبل المجهول وحلاوة انتظار هذا المجهول ، وأنتن الآن مستعدات للسير بشجاعة وبلا خوف فى دروب المعرفة ، لقد اتخذتن قرار الالتحاق بالجامعة وأنتن الآن فى سبيلكن لتحويل قراركن إلى أمر واقع ، وتجسيد مأركن ، ولكن ينبغى أن تبتعدن عن وساوس القلق وعدم الثقة فى أنفسكن ، فالمعرفة أرض مقدسة ، والاستمتاع فقط هو السبيل للسير قدماً فى هذه الأرض.

ستقدمن الدعم أيضاً

غالباً ما يقال إن غاية الحياة أن يكون الإنسان نافعاً ، وهذا أمر صحيح ولكن السعادة هى التى تؤدى إلى النفع ، وهى التى تلهمه ، فإذا كنت تتمتعين بالكثير من النعم ، وتمتلكين عقلا راجحا ، وتصلين الليل بالنهار من أجل العالم ، فإن هذا لن يعود عليك بالكثير إذا لم تكونى تشعرين بالمتعة ، فاحملى المتعة معك وأنت تدخلين من بوابة الجامعة ؛ لتبدئى حياتك الجامعية بلا خوف ، وتذكرى أن الكلية التى تعلق

بها قلبك تحمل لك كل ما هو جميل ، ولتؤمنى بأن كل أحلامك ستتحقق فى داخل قاعاتها ، ولكن لا تنسى أن الفوائد الجليلة التى ستعود عليك من الدراسة بالجامعة ، ستكون مقترنة بواجبات ملزمة ، فالحرية العظيمة أسير أبدى للأفكار العظيمة.

فى الجامعة ستصبحين وجهاً لوجه أمام كل مشكلات الحياة الأساسية ، ستتعلمين كيف سعى الإنسان لحل تلك المشكلات ، فادفعى العجلة من أجل البداية السعيدة ، فأنت قادرة على حل تلك المشكلات ، والعالم فى حاجة إلى حكمتك وخبراتك ، ولكن أكثر ما هو فى حاجة إليه محبتك التى تنبع من القلب وإلى القلب ، وشجاعتك ، وطموحاتك وسعادتك.

هل ترين أن ظروفك لن تساعدك على تحقيق هذا الحلم المثالى النبيل لأنها فوق قواك وطاقاتك ؟ تذكرى أن سيناتور هور قال : معظم الأعمال الجيدة التى أنجزتها البشرية كانت لأفراد لا يتسمون بالعبقرية ولكنها بذلت أقصى ما لديها ، وتذكرى أن العديد من الفتيات اللاتى اعتقدن أن مستواهن متوسط قد حصلن على درجات عالية وشرفية بالجامعية.

إن قاموس مفردات الشباب لا يحتوى على كلمتى الخوف أو الندم ، لأن روح الشباب تزودهم بأجنحة بيضاء وبراقة ، تقودهم نحو الشواطئ الأرجوانية للأرض الموعودة ، كونى سعيدة وليكن كلامك سعادة ، لأن ذلك يستثير السعادة عند الآخرين، فالعالم يكفيه ما به من حزن وليس فى حاجة إلى أحزانك ، تمردى على المصاعب والظلم كلما أردت ذلك ، فما أجمل أن تحرصى على النضال من أجل تعديل الأخطاء التى تمر عليك !! ولا تشكى أبداً فى تميزك وإمكانية تحقيق مآربك ، ولا تشكى أبداً أن هذه دنيا الله ، وأنه لا يفرق بين عباده الذين يفعلون العمل الصالح على قلته وفق طاقاتهم ، وبين عباده من أصحاب الأعمال الاستثنائية العبقرية.

رؤية روحية

انضمى إلى الصحبة التى تحول الأماكن الجدباء حياة مثمرة ، من خلال التصرفات العطوف ، احملى رؤية السماء فى أعماق روحك ؛ فيتوافق منزلك وجامعتك والعالم بأسره مع تلك الرؤية ، إن نجاحك وسعادتك مصدرهما أنت نفسك ،

وما الظروف الخارجية إلا حوادث عرضية ومنغصات ، أما الحقائق الثابتة الجليلة فهى الحب والخدمات ، فالمتعة هى النيران المقدسة التى تجعل أهدافنا دافئة وتجعل حكمتنا تتوهج ، وأداء العمل دون الاستمتاع به سيؤدى إلى لا شىء ، قررى أن تكونى سعيدة وستتغلبين على قهر أعتى الصعاب.

قومى كل يوم بالتفكير والقراءة والدراسة ، فيجب أن تجدك الاختبارات جاهزة لها وواثقة من نفسك ، ولا تجعلى الامتحانات هى كل غايتك ، أو تنكبى على الصفحات المطبوعة فلا تصبح الدروس واضحة لك ، وحتى إن لم تتفوقى دراسياً تذكرى أنه قد يكون من المجدى أن تعينى فتاة أخرى على أداء مهمة ما خيراً من أن تحصلى أنت نفسك على درجات عالية ، فعلاقتك بالكتب يجب أن تأتى فى المرتبة الثانية ، بعد علاقتك بزملائك وتعاملك معهم بكل أمانة وعطف وكرم.

واجهى نقاط الضعف عندك واعترفى بها ، ولكن لا تجعليها تسيطر عليك ، فقط اجعليها تعلمك الصبر والبصيرة والاعتدال ، إن التربية الحقيقية هى التى تجمع بين الذكاء والجمال والخير ، والأخير هو أعظمها على الإطلاق ، عندما نبذل أقصى جهد لنا لا نعرف أبداً على وجه التحديد مقدار أثر ما بذلناه على حياتنا أو حياة الآخرين.

الذهاب إلى الجامعة يشبه الذهاب إلى العيش فى مدينة غريبة ، فزميلاتك من الطالبات من كل الفئات والطبقات الاجتماعية ، وغالباً لا يوجد قاسم مشترك بين الطالبات ، باستثناء الرغبة فى الصداقة والتعاطف والمحبة ، وإذا أدركت التباين الشديد الموجود فى مجتمع الجامعة فستتغلبين على العديد من الإحباطات التى تواجه طلاب الفرقة الأولى ، وإذا شعرت فى وقت ما بالوحدة أو بالحنين إلى الوطن فلا تغضبى من الفتيات ، لأنهن لم يلاحقنك داخل الجامعة أو على درجات السلم كى يعرضن عليك صداقاتهن.

غالباً تهتم طالبة الفرقة الأولى بإظهار قدراتها العقلية ومشاعرها القلبية ، وتحرص على ذلك بشدة داخل الفصل الدراسى ، لدرجة تجعلها تتعجب من بطء الأخريات فى اكتشاف مزاياها .

ولكنك ستجدين مكانك فى الجامعة بكل تأكيد ، مثلما يرتفع منسوب المياه حتى يصل إلى المستوى المرغوب ، فقط لا تستغرقى فى الكآبة أو تخرجى من الفصل الدراسى لتنتقدى الآخرين ، ويجب أن تلقى بنفسك فى خضم الأحداث ، وتكتشفى المكان الذى يمكنك أن تكونى نافعة فيه ، وكى تكونى قائدة الفصل لابد أن تمتلكى الخصائص التى تمكنك أن تكونى قائدة فى أى مكان آخر ، والأمر لا يتطلب العبقرية بقدر ما يتطلب الطاقة والمثابرة والإرادة والتضحية من أجل الآخرين.

من الكتب

لا تتعلمى من الكتب مجرد الدرس اليومى ، ولكن تعلمى منها أيضاً درس الحياة ، وستجدين فى كل المعارف - الكلاسيكيات والعلوم والتاريخ والأدب والرياضيات - كيف أن الإنسان يصارع من أجل أن يقترب أكثر من الله ، عندما تقفين على أعتاب الجامعة مفعمة بالتفاؤل قررى أن تكرسى ما ستتعلمينه من أجل خدمة الآخرين ، وإذا ما انتابك شعور بالتشاؤم فتجدى أن كل الناس قد صمت آذانهم نتيجة صراخ التجار ، أو عميت أبصارهم بسبب أنانيتهم وجشعهم ، اقلبى الصفحة وانتقلى إلى قراءة تاريخ إنجلترا ؛ لتجدى أن الأفكار التى قامت عليها الدولة «**الأنجلو ساكسونية**» لم تكن وضيعة أو حقيرة.

التاريخ الأمريكى كذلك مليء بقصص الأبطال والشهداء ، الذين نحوا جانباً طموحاتهم ووهبوا حيواتهم للصالح العام ، وكانت مبادئهم إذا كان البشر أكفاء فسنفتح أبصارهم ، وإذا كانوا صما فسنصلح آذانهم ، وإذا كانوا جوعى سنطعمهم ، وإذا كانوا مظلومين ومضطهدين فسيتحررون لأن الله موجود.

إن العالم فى حاجة إلى الكثيرين ممن يتحلون بمثل هذه الروح ، وهناك أماكن مهجورة كثيرة لم تشرق عليها بعد شمس الحب ، ولم تدخلها قط أنوار الحقيقة ، إن الفرصة تنتظر كل خريج فى الجامعة ، وتنتظر من حيوية الشباب ونشاطه أن تستجيب «**إلهى أنا هنا أرسلنى**» .

اكتشاف الطريق Blazing the Trail

المصدر : مجلة المنزل عدد أكتوبر ١٩٣٤

شهدت الآونة الأخيرة جدلاً بين النساء ، حول الفرص المتاحة لهن ، والسبل المفتوحة أمامهن كى يخضن فيها ، والتى لم تكن متاحة لجداتهن ، وهو ما يدفع النساء لمزيد من الاستقلالية والتعبير عن الذات.

سألت رجلاً أعرفه : هل تفكر المرأة العصرية لنفسها ؟

فأجابنى : القلة القليلة من النساء تتفكرن فى أمورهن ، ويبدو أن الأمر فى الوقت الحالى لا يختلف عن سابقه ، هذه الإجابة لها وجهان ، ولكنها أحبطتنى بالفعل.

ومن خلال ملاحظاتى الدقيقة ، أستطيع أن أقول إن معظم النساء الأمريكيات يحاكين سيكولوجية الرجل ، فهن يستهدفن القيام بما يقوم به الرجل ، ويبدو لى أن هناك جانبا من المغامرة لم تخض فيه المرأة بعد ، وهو الجانب الذى يصعب على الرجل أن ينافسها فيه ، ألا وهو تثقيف أنفسهن .

لماذا يجب على المرأة أن تجعل من نفسها أضحوكة أمام الرجل ؟ فلو أنهن اهتممن بتفردهن كنساء فسيكون ذلك مفيداً لهن ، كما سيجلب لهن السعادة . أليس من الأفضل للمرأة أن تبحث وتنقب فى معايير القيم الخاصة بها ، وتكف عن البحث عن الماديات التى يسعى إليها الرجل ؟ وهل الحياة المادية تستحق بالفعل أن يحياها أى فرد حتى وإن كان يتحكم فيها ويسيطر عليها ؟

إذا كانت المرأة تستهدف بالفعل أن تحيا حياة حضارية أفضل ، فعليها أن تنظر إليها من زاوية أخرى ، ألا وهى الزاوية الروحانية ، فالحضارة شديدة الارتباط بالجانب الروحانى ، وأثر الجانب المادى يعتبر ضئيلا جداً بالمقارنة ، وأنا أتساءل إذا

اهتمت المرأة بالجانب الروحانى ألن يسعدها ذلك بشكل أفضل ؟ فالحرية والفرص الأكبر التى تنشدها المرأة يجب أن تكون فى سبيل رحمة البشرية ، وعليها أن تجعل ذلك نصب عينيها ، وعندئذ فلربما تكون هذه هى البداية لرؤية مجتمع إنسانى يحكمه المنطق ، وتسوده قيم حقيقية يحكمه عقل لا يخشى من السفر ، حتى وإن كان الطريق وعرا ، فالمتعة الحقيقية فى الروحانيات ، فما أروع منظر المرتفعات السرمدية !!

وما أعظم الإحساس بوجود الله !!.

نساء أمريكيات عظيمات Great American Women

المصدر : مجلة المنزل عدد فبراير ١٩٣٢

أحتفظ فى قلبى بذكرى ثلاث سيدات لطيفات وشجاعات كان لهن حضور مميز ، وكن يتميزن بذكاء متوقد وبلاغة عظيمة ، وصلت الهواتف إلى مسامعهن فى شبابهن كما حدث مع القديسة جان دارك . أعمانهن أبقتهن ، هن : سوزان بى أنتونى و « لوسى ستون» و «إليزابث كادى ستانتون» سيدات شابات جميلات وإن تقدم بهن العمر.

ولدت «إليزابث كادى ستانتون» فى «سينيكا فولز بنيويورك» عام ١٨١٥ وعاشت حتى انقضى القرن التاسع عشر . وكان أبوها يعمل كبيراً للقضاة ، وحينما بلغت عامها الخامس والعشرين تزوجت من بروستر ستانتون وهو يندرج من أسرة تعتنق المذهب التطهرى ، وقد كان زوجها من أصدقاء الحركة المناهضة للرق ؛ وعليه فقد أرسل كمندوب إلى المؤتمر العالمى المناهض للرق الذى عقد فى لندن عام ١٨٤٠,

كانت إليزابث فتاة ذات روح عالية وولع شديد بالسفر حول العالم ، وتزوجت فى أحد أيام الجمعة ، وفى يوم الإثنين التالى لزواجها أبحرت إلى إنجلترا والتقت بلوكريتيا مت واتفقتا معا على الاحتجاج على عدم السماح لهما بحضور المؤتمر المناهض للرق ، بدعوى جنسهما ، ونحن ندين لهما كنساء غربيات بقيادتهن لحركة المساواة السياسية بين المرأة والرجل.

وفى عام ١٩٤٨ دعت «إليزابث ولوكريتيا» إلى مؤتمر احتجاجى عقد فى سينيكا فولز وبعد قليل انضمت إلى حركتهما سوزان أنتونى ومجموعة أخرى من النساء ، اللاتى شكلن نواة منظمة حقوق المرأة فى الولايات المتحدة ، وكانت هذه أول خطوة فى الحياة النضالية التى خاضتها النساء ضد القوانين والتقاليد المجحفة التى كانت تحاك ضد المرأة.

ولقد تعددت مطالبهن بصورة لا أقوى على سردها فى المقالة الحالية ، ولكنى سأذكر القليل من تلك المطالب ، كن يطالبن بحرية ارتداء السروال ، والحق فى

الحصول على الطلاق ومساواة أجورهن بما يتقاضاه الرجال ، وأن تتم معاملتهن وظيفياً مثل الرجل.

كما طالبن بحق المرأة فى التعليم ، ولقد استمرت حركتهن ومحاضراتهن فى ربوع الولايات المتحدة ، ولم تتوقف إلا بحلول الحرب الأهلية.

أما «**سوزان أنتونى**» فقد ولدت فى ساوث آدمز بولاية ماساتشوستس وكانت لها تجارب اكتسبتها من العمل كمعلمة وكعاملة فى أحد المصانع ، ولقد تأثرت بشدة من الحياة الصعبة التى كانت تعيشها والدتها وجاراتها ؛ مما جعلها شخصية متدينة ، تدعو إلى الامتناع عن شرب الخمر ، إلا أنها لم يسمع لها لحضور مؤتمر عن منع الخمور لا لشئ إلا لأنها امرأة.

ولقد حضرت سوزان المؤتمر الذى دعت إليه إليزابث ستانتون و لو كريتيامت وهناك شعرت سوزان واليزابث ، أنهما خلقتا من أجل أن تتما معا مشوارهما البطولى ، ولقد التقيتا بالشخصية الثالثة لوسى ستون فى المؤتمر نفسه .

و «**لوسى ستون**» ولدت فى عام ١٨١٨ فى إحدى المزارع الجميلة فى وسيت بروكفيلد بولاية ماساتشوستس وكانت أمها زوجة لأحد الفلاحين ، ويحكى أنها قد حلبت ثمان بقرات قبل أن تلد لوسى بليلة واحدة ، حينما باغتت الأمطار المدينة ؛ مما دعا كل رجال الأسرة إلى أن يسارعوا إلى الحقل كى يحافظوا على المحصول ، وعندما ولدت لوسى وأخبروا أمها بأن المولودة أنثى ، بكت الأم وقالت : يا أسفى ؛ إنها أنثى وحياة المرأة صعبة ولم تكن تلك المرأة الحزينة تعلم أن طفلتها ستسهم فى تخفيف العبء عن النساء.

وحينما تفتحت أعين لوسى كان العالم الذى تمثل أمامها يختلف عن العالم الذى نحياه الآن ، فلم يكن يسمح للمرأة بالذهاب إلى الجامعة ، ولم يسمح للنساء بالذهاب إلى المدارس الثانوية المجانية ، لقد كان الاعتقاد السائد حُينها أن للمرأة أن تحصل فقط على قدر من التعليم يمكنها من قراءة المزامير ، وما يعينها على حساب التدابير المنزلية ، وأن أية محاولة لتقديم المزيد من المعرفة لها قد يؤدى إلى إفسادها كزوجة وأم ، كما كان ينظر إلى حديث المرأة أمام عامة الناس على أنه عمل محرم ،

ولم يكن لها أن تكتب بغرض النشر ، وكان القانون والدين والتقاليد ينظرون جميعاً إلى المرأة على أنها مخلوق أدنى من الرجل.

إن لوسى ستون هى أول امرأة فى أمريكا احتفظت باسمها (ولم تغيره بعد زواجها باسم زوجها) ، كما كانت أول امرأة تحصل على درجة جامعية ، كما أسست مجلة المرأة فى مدينة بوسطن ورأست تحريرها . ولقد استمرت هذه المجلة كإحدى أهم الصحف الأمريكية ، التى عبرت عن معاناة المرأة ، قرابة نصف قرن من الزمان.

تلك السيدات الثلاث بتاريخهن البطولى فى البحث عن حقوق المرأة ، أظهرن كفاءة فى الثبات على المبدأ ، وفى التفكير المستقبلى ، وفى إظهار تعاطفهن مع المرأة.

وقد لا يستشعر كثيرون الآن مدى الصعوبات التى مرت بها تلك النساء ، والتمييز المستمر الذى تعرضن له ، فلقد اتهمن بالزندقة والإلحاد ودفعن ثمن حبهن للحرية ، واتهمن بسعيهن نحو تحطيم الأسرة والمنزل والحياة الزوجية ، ومع هذا فتلك الاتهامات ينظر إليها الآن على أنها أوسمة وانتصارات.

المرأة والسلام Woman and Peace

المصدر : مجلة المنزل عدد مايو ١٩٣٠

رسالة فى وقت الربيع من امرأة لم تعرف اليأس ، إلى الأمهات حول موضوع يهم العالم بأسره .

من الملائم والمناسب أن نشغل عقولنا وتفكيرنا ومشاعرنا بطريقة مختلفة فى وقت الربيع ، لأنه وقت الفورة والشباب والحيوية ، وهو يحمل برموزه معان كثيرة ، فأنا أرى فى كل برعم وورقة شجر ، وعيدان الحشائش ، أرى الحياة بآمالها وأحلامها وطموحاتها .

وإذا كانت هذه الأوراق والبراعم ستبلى يوماً ما ، فهذا يجب ألا يثبط عزيمتنا ، فكل منها سترحل بعد أن تلعب دورها فى الحياة ، لوقت من الزمان وإن قصر ، وستذهب بعيداً حتى تأخذ الأخريات أدوارها ، فالمثل العليا التى تحمل معانى الحق والخير والجمال تكبر مع الزمن ، وتمتد لتصبح معان أجمل وأعظم لمفهومى الحق والخير والجمال .

والمراة عبر العصور الماضية ، رضيت بأن تلعب أدواراً أقل مما تمتلكه من ذكاء وقدرات ، فرضيت بأن تخدع وتنكر وتستضعف ، وآثرت أن ترضى بأقل القليل .

وقدر لها ذلك منذ نعومة أظفارها ، أما الآن فلقد بدأت تنتفض ، محررة نفسها من القوانين القديمة والعادات العفنة ، والأفكار البالية ، التى كان يراها آباؤنا إرثا ثقافيا، وها هى تتحدى الخوف والخرافات ، وتواجه الدنيا والعلم بلا خزى أو تردد أو وجل .

وإحدى الأفكار التى عفى عليها الزمان ، التعاليم التى كانت تنادى بأن المرأة لا ينبغى أن تأكل من شجرة المعرفة (الشجرة التى أكل منها أبوانا آدم حواء) ، وكان ينادى بتلك المقولة كل من الرجال والكنيسة والمدرسة ، فهناك موضوعات كان ينظر إليها دائماً على أنها محرمة على المرأة ، ووصل الأمر إلى أننى فى شبابى كنت أعتقد أننى كامرأة ، لا ينبغى لى أن أتناقش فى سبب ميلاد بعض الأطفال المكفوفين

ولقد استغرق الأمر وقتاً طويلاً ، حتى نحطم القيود التى كانت تمنع الحوار الحر ، حتى على صفحات الجرائد والمجلات.

لقد حان الوقت للمرأة كى تخرج من تابوت المؤسسات المحتضرة ، كى تستنشق عبير الحياة ، وتعيش على الأرض مخلوقة حية مثل الرجل ، وأول شيء يجب أن تفعله ، أن ترفع الستار وتنظر بكل حب إلى عقل طفلها ، فواجبها أن تدرس طفلها لتعرف إمكاناته وقدراته ، وحتى تستطيع أن تحقق ذلك ، فعليها أن تدرس الحقائق التى تتناولها علوم مثل البيولوجيا وعلم النفس وعلم اليوجينيا (علم تحسين النسل) ، وعليها أن تدرس مفاهيم مثل العادات والدوافع والنمو ، ذلك لأن النمو السليم للطفل يحتاج إلى كفاءتها.

غداً سيجلس أبناؤنا حيث نجلس نحن الآن ، وسيقومون بتنفيذ السياسات التى نرسمها نحن الآن ، وسيحملون تعاليمنا فى رحلتهم ، وسيأخذونها معهم فى كل مكان، فى العمل والمصنع والمحكمة وحتى فى الكونجرس ، سيكون بأيديهم مقاليد السلطة ، وسيحكمون المدن والولايات وسيكون مستقبل الأوطان بين أيديهم ، ومن المؤكد أن أداءهم سيتأثر بالشخصية والذكاء والمعرفة التى عملنا على أن يكتسبوها فى الأيام الخوالى.

أيتها الأم ابدئى الآن ، وافهمى القوانين التى تحكم نمو طفلك وسعادته ، فلن تتحقق الحضارة المنشودة إلا بطفلك ، والمرأة من دون أدنى شك هى المعلم الأول ، والمنزل هو المدرسة التى يتلقى فيها الطفل أول الدروس وأهمها ، وما أسعد ذلك الطفل الذى ينمو فى بيئة يستمع فيها إلى المناقشات والحوارات الذكية ؛ لأنها حتماً ستؤدى إلى تنمية عقل راجح ومشاعر نبيلة.

إن المرأة تمتلك القوة التى تمكنها من غرس البذور فى نفوس صغيرها ، وتلك البذور هى التى ستحدد أفعاله فى المستقبل ، فتستطيع أن تحول إعجابه بلاعب كرة شهير إلى إعجاب بشخصيات عظيمة ، وتحول اهتمامه نحو الأفكار النبيلة والأعمال الخلاقة ، وتستطيع من خلاله الكلمات والحكايا والأمثلة أن تعلمه أن البشرية تزدهر ليس بأفعال الرياضيين ورجال الأعمال ، ولكنها تزدهر بالمثل العليا والإيثار والشجاعة

التى اتسم بها أناس مثل فرانكلين ، ولينكولن ، ونيوتن ، وتولستوى ، وباستير ، وإينشتين ، فكل أولئك قدموا أعمالاً جليلة للبشرية دون أن يحبوا الحياة الثرية وعصر الميكنة الذى نحياه .

ومرة أخرى أؤكد على ضرورة أن تدرسى الطفل وتتعلمى أن تتعاطفى مع ردود أفعاله للعالم المحيط به ، وتسعى إلى توفير بيئة محببة إلى نفسه تساعد على تنميته ، وسيؤدى ذلك إلى أن يصبح مخلوقاً يستطيع أن يتدبر أمور نفسه ، وأن يساعد الآخرين .

وهذا أقل شىء يمكن أن تؤديه الأم لطفلها ، إذا كانت ترغب فى أن يكون أبناؤها أذكياء وسعداء ، وحينما تأتى الفرصة لمثل أولئك الأطفال سيقدمون أفضل ما عندهم للمجتمع .

حقاًإن العصور الجديدة تتطلب معايير جديدة ونساء جديدات وأسلوب جديد فى التربية .

البطولة Heroism

المصدر : مجلة المنزل عدد سبتمبر ١٩٣٣

قد لا يستطيع كل منا أن يمر بمغامرة كبيرة ،

ولكن كلا منا يمكنه أن يصنع لنفسه جزءا منها .

لقد كانت لى مغامرات مثيرة فى الربيع الماضى ، عندما كنت أبحث فى جنوب الوطن عن أصدقاء جدد للمكفوفين ، ولقد كنا نعد أنفسنا - أنا وأصدقائى وسيارتى - للرحيل فى الصباح الباكر قاصدين أحد الأماكن التى سألقى بها حديثاً ، وغالباً ما يكون الجو بديعاً فى هذا الوقت وخصوصاً فى ولاية كنتاكى حيث الأعشاب ذات اللون الأزرق الخلاب ، تفترش الأرض طبقة فوق أخرى على طول الطريق السريع ، وطوال الطريق كان الأصدقاء يراقبون المراعى التى يكسوها اللون الأزرق ، التى لم يكن ليظهر إلا من خلال انكسار الضوء بقدر محدد ، وكنت دائماً أتساءل : ما الذى يجذبهم للأعشاب الزرقاء أكثر من الجياد المرحة التى تطبع حوافرها آثارها على المرج الفسيح.

وفى كل مكان كنا نرى زيتونة تطل بزهورها الذهبية ، فتغازل نسيم الصباح ، ويلوح أمامنا نبات الوستارية الذى كان يكسو الحوائط والأشجار ، بألوانه البهية التى تجذب أسراب النحل إلى عناقيده المعسولة .

وفى خلال ذلك كنت أشعر بالعربة وهى تسير ببطء ، فأتنسم رائحة الربيع الزكية ، وهى تسرى من فوق الجبال التى كانت تحذرنا انحداراتها الشديدة بضرورة السير بحذر ، وأحياناً كنا نضطر للالتفاف حول الطريق ؛ كى نتجنب إحدى البرك ، وفى أحيان أخرى كنا نعبر أحد الكبارى العتيقة التى يعلوها غطاء عندما تلتقى به قطرات المطر فى وقت الربيع كنت تشعر وكأنك تستمع لنغمات على وقع أقدام الخيول، وكنت أعرف أننا قد أدركنا الضفة الأخرى عندما أشم رائحة البرسيم المبتل وثمار الأشجار.

وكلما توغلنا صوب الجنوب كنت أحمل فى مخيلتى صورة اثنتين من النساء

اللاتى يتسمن بالشجاعة من نسوة الجنوب ، هاتان السيدتان كثيرا ما عبرتا تلك الجبال، وكذلك جبال جورجيا كى تسعفا مريضاً أو جريحاً ، وكى تنشرا أنوار المعرفة بين جموع من البشر المدفونة حية فى تلك القرى النائية.

لقد بدأت السيدة بريكن ريدج عملها فى معية ممرضتين ، وكن يمتطين ظهور الجياد فى شتى أنواع الطقس ، ويسرن فى الطريق الوعرة ، فأقمن الصداقات مع الأطفال ، واعتنين بالمرضى ، وقدمن العون والنصح للأمهات المتعبات ، وأعددن أطفالهن لمجابهة الحياة بمهارات حياتية لم تكن معروفة من قبل فى تلك الأماكن ، أما الآن فهناك ثمانية وعشرون ممرضة وثلاث رئيسات وعدد من المساعدين ، يعملون فى ليكسنجتون حيث توجد سبع مقاطعات لا يمكن الوصول إليها إلا عبر القوافل الجبلية ، تلك النسوة على أهبة الاستعداد لمواجهة أى خطر إذا ما تلقين أية إشارة لنجدة المرضى أو الجرحى ، فتسارعن كملائكة للرحمة ، لتقديم كل العون ، إنهن على استعداد للقيام بذلك فى الشتاء حيث تشتد قسوة امتطاء الجياد فى المنحدرات التى يكسوها الجليد ، وربما تطلب الأمر الترجل والسير عبر الثلوج ، وعندما يحل الربيع لا يترددن فى أن تخضن بجيادهن فى المياه التى خلفتها الفيضانات أو فى النهيرات أو الجداول.

تروى مارى بريكى ريدج أن من بين المرضى التى كانت تداويهم الكثيرين الذين كانوا فى حاجة ملحة للرعاية بدار للاستشفاء ؛ فقامت باصطحاب تلك المجموعة من النساء والأطفال المرضى على ظهر قارب مسطح صغير جداً يقوده رجل طويل القامة من ساكنى الجبال ، وظل يقوده فى طريق العربات الذى كانت تكسوه طبقة كثيفة من الطين خلفها الجزر الذى حدث فى ذلك الوقت لنهر ميدل فورك وقاد ذلك الرجل تلك الرحلة لمدة عشر ساعات ، ظل يتجنب فيها الصخور ويسرع ويبطء حتى وصل بالركاب إلى الأرض بسلام.

أما مارثا بيرى فهى شخصية بطولية أخرى ، عاشت حياتها من أجل سكان الجبال فى ولاية جورجيا ، وكانت تندرج من أسرة ثرية أرستقراطية ، وخلف مزرعة زهورهم الكبيرة كانت هناك جموع من الفقراء الذين لا يجيدون القراءة ولا الكتابة ، تعيش فى الجبال فى حجرات قد تزدحم الواحدة منها بعدد يتراوح بين ثمانية وعشرة

أشخاص ، يعيشون فى فقر مدقع دون أدنى رعاية صحية .

لم يكن يشعر بأولئك الفقراء من أسرة مارثا بيرى إلا هى ، فلقد كانت تؤمن بمقدرتها على معاونتهم والسعى فى تحسين أوضاعهم ، ولذلك لم تستمر فى إنهاء دراستها ، وأقلعت عن كل الملذات من أجل عامة الناس الفقراء فى تلك المنطقة ، ورفضت كل من تقدم لخطبتها من الوجهاء الذين كانوا يضمنون لها حياة رغداء تنعم فيها بالرفاهية ؛ وذلك من أجل أن تمنح أكثر من عشرة آلاف فتاة فرصاً لحياة أفضل، فانزوت بداخل حجرة تقرأ وتدرس وتعقد الصداقات مع نصف سكان الجبال – صغارهم وكبارهم – ساعية نحو تعليمهم ، وكثيراً ما امتطت ظهر حصانها حاملة على كتفيها مشاعل التنوير لنشر المعرفة فى منطقة الجبال ، واضطرت فى أوقات عديدة لقضاء الليل فى إحدى الحجرات،ونامت إلى جوار فتاتين أو ثلاث فى سرير واحد.

وهناك فى منطقة الجنوب وجدت أكثر من مليون ضحية للفقر والجهل والمرض ، كانوا فى أشد الحاجة للعون ، واستمرت طوال ثلاثين عاماً تكرس مجهوداتها من أجل هؤلاء دون ضجر أو تأفف ، ولا تزال حتى يومنا هذا تعمل من أجلهم دون راحة أو فتور ، ولا تزال تسعى إلى إلحاق المزيد من الأطفال إلى مدارسها كل عام ، حيث لا تأنف أن تدرس لهم أو تنظفهم .

إن هذه المرأة استمرت لمدة ثلاثين عاماً تجمع الأموال من المتبرعين من شتى أنحاء أمريكا ، حتى جمعت قرابة سبعة وعشرين مليون دولار ، ولكنها لم تدخر أى سنت منها ، بل صرفتها جميعاً على تعليم البنات والأولاد ،وإعداد تلاميذها لحياة نافعة وعيشة راضية .

بالطبع لا نستطيع جميعنا أن نمر بمثل تلك المغامرات ، ولكن كل واحدة منا يمكنها أن تصنع لنفسها ولو جزءا منها ، إن العالم يبكى من حولنا أنيناً يستجدى من المرأة أن تفعل شيئاً حيال الحرمان والفقر ، بنية خالصة وعقلية مؤمنة .

لقد انتهت عطلتنا ، وأتى سبتمبر بمهامه وأعبائه ، فلنقدم على اختيار الطريق الصعب ونتعلم من نسوة مثل مارى بريكن ريدج و مارثا بيرى كيف يمكن أن نغادر العالم فى وضع أفضل مما وجدناه عليه.

الأحلام التي تصبح حقيقة Dreams That Came True

المصدر : الشخصية عدد ديسمبر ١٩٢٧

تصير الأحلام حقيقة ، فى تلك اللحظة التى يستمتع فيها من لا يرى ولا يسمع بحديقة مزهرة ، يقول «سويدنبورج» : **إن العديد من الفنون تستلهم قواعدها وجمالياتها من السماء** ، والحق يقال أن كل فن يشتمل على لمحة إلهية يتذوقها البشر للاستمتاع بحياتهم ، مهما كانت الظروف المحيطة بهم ، وهى ما يطلق عليها قوة الفن الإلهية ، التى تمنح البشر الرغبة فى الإحساس بأن الحياة تستحق أن نحياها ، مهما فرض علينا من إعاقات.

لقد حاولت جاهدة لسنوات عديدة أن أوضح تلك الحقيقة المهمة للناس ، ولكنهم مازالوا يستغربون كلما أخبرتهم بأننى أعيش حياة سعيدة ، فهم يعتقدون أن حواسى المحدودة تمثل عبئاً على روحى المعنوية ، وتجعلنى أسيرة قسوة اليأس ، ولكننى أرى أن السعادة لا تتوقف كثيراً على الحواس .

إذا نظرنا إلى الحياة على أنها كئيبة وبائسة ؛ فلن تكون إلا كذلك ، أما إذا آمنا بأن الأرض ملك لنا وأن الشمس والقمر معلقان فى السماء من أجل سعادة البشرية ؛ فستنتشر البهجة فوق التلال ، وستمتلئ العقول بالسرور ؛ لأن الخالق المصور يسكن ربيع قلوبنا ، وما أحلى الحياة وأغلاها إذا آمنا بأننا ولدنا من أجل أهداف نبيلة ، وبأن قدرنا أن نعمل وننجز رغم ما تفرضه علينا محدودية القدرات الجسمانية.

أشعر أن هناك من يقول لى أستطيع أن أفهم أنك تستمعين بالزهور وبإشراقة الشمس وما شابه ذلك ، ولكن عندما تجلسين طوال اليوم بمفردك مستغرقة فى القراءة ، ألا تشعرين بالملل الشديد ؟ وأنت لا تستطيعين أن تبصرى لونا واحدا عبر النافذة ، ولا تسمعين صوتا واحدا فهل لا تشعرين بالتعب من رتابة اللمس ، وأنت تتحسسين الأشياء دون أن ترى الأشعة التى تسقط على تلك الأشياء ولا ظلالها ؟ أليست الأيام والأوقات كلها متشابهة بالنسبة لك ؟

وسأجيب عن كل ذلك قائلة : أبداً ؛ فأيامى كلها مختلفة والأوقات لا تشبه بعضها ، فمن خلال حاسة اللمس أتبين بدقة كل ما يطرأ من تغيرات أو تطورات فى

الجو ، فأنا أعلم يقيناً أن الأيام بالنسبة لى مختلفة كما هى بالنسبة لمن يبصر السماوات ولا يبالى بجمالها ، ولكنه ينظر إليها كى يكتشف هل الفرصة مهيأة لسقوط أمطار أم لا ، فهناك أيام أشعر فيها بالشمس وهى تسطع ، وأشعر بالسعادة التى تنشرها فى كل ومضة ، وهناك أيام أخرى ممطرة أشعر فيها بالغيوم وهى تربت على وجهى بيد باردة ، وأشم فيها رائحة الأرض الرطبة ، وأشعر بالندى وهو يزحف على كل شىء.

وهناك أيام هى بالنسبة لى مظلمة حقيقة ، حيث أشعر بنوافذ الحجرة التى أقرأ فيها وهى ترتعد وتتنهد من جراء هبوب الرياح الشتوية ، ثم تأتى الأيام السعيدة عندما أشعر بالبرق قادماً من خلال طنين رياح الغرب التى تزأر مبشرة بموكب الربيع ، وعندها أتوق للخروج إلى الغابات حيث لا تكبح الروح الموسيقى خشية أن تجد صداها فى عقل شخص آخر .

وهذا يوم كسول حينما تربت نسائم الصيف بفتور على وجناتى ، فى محاولة لأن تغوينى كى أخرج لأجلس فى خيمتى الصغيرة ذات الستائر ، أتمدد حالمة مع قوس قزح ، والقرنفل الذى تطن حوله أسراب النحل.

وهناك أوقات تأتى الشمس مبكرة وتقبلنى قبلة الصباح ، وأوقات أخرى تسقط الأعباء من على عاتقى فأخرج للتنزه فى سلمبرلاند وهناك أوقات أسرع لاهثة خلف الأحرف المنتشرة أمامى على مكتبى ، وهناك أوقات سعيدة عندما تنبئ التوقعات بأن أحد الأحلام الجميلة على وشك أن يصبح حقيقة ، وهناك أوقات تعطرها الذكريات الجميلة ، ودائماً هناك أوقات مختلفة ولكنها لا تنتهى أبداً ، أقضيها مع المفكرين والشعراء والفلاسفة ، وكيف تكون هناك لحظات مملة وكل الكتب بها أشياء تعجبنى وتستهوينى ؟!!.

أنا أعيش فى عالم يغمره الفكر ، وهؤلاء الذين يمتلكون كل القدرات لا يعلمون شيئاً عن الحدائق الخلابة الموجودة فى عالم الظلام وخلف جدرانه الصامتة ، إن السكون يحرك جوارحى ويستثير مشاعرى ، فالصمت نوع رفيع من الشعر ، يعطى روحاً ومعنى للاهتزازات التى تحيط بى وتنقل إلى فأتواصل مع الحياة بحاسة اللمس ، فتلك وقع أقدام من أحبهم فى المنزل حينما يقتربون أو يبتعدون ، وهذا هو النباح

المفاجئ لكلبى اللطيف دن الكبير بأذنيه الطويلتين.

ومن آن لآخر تمر الشاحنات حاملة معها لوازم بناء الطريق الجديد ؛ فأشعر بدمدمتها وهى تهز المنزل ويتطاير من جرائها رذاذ الطين ويسقط على قطع الأثاث ، كما أشعر فى التو بالهرج والمرج الذى يحمله صخب مدينة نيويورك الذى لا ينقطع ، وفى أحد الأيام مررت بلحظات عصيبة حينما اندفعت عشرون طائرة فى أثناء الموكب الاستعراضى لليند برج ومعظمها اقترب من المنزل وأحسست بهدير محركاتها من خلال جدران حجرة القراءة ، يا لها من أفكار جالت من جراء الاهتزازات ، وكما تتبع الطيور الصيف فى كل مكان ، تابعت بكل وجدانى أخبار ذلك الشاب الشجاع الذى عبر الأطلنطى بمفرده ، ورأيته طائرا ليلاً فى طرق وعرة ، ومن داخل أعماقى أحسست بوحشة وحدته ، وشعرت بالظلمة السحيقة التى مرق من خلالها ، وحاولت أن أتخيل ما يجول بخاطره وهو يواصل القيادة ، وتخيلت غموض الظلام الذى لا وجود له مع الإحساس بنور الله.

إن هذا الفتى قد اشترى حلماً من أسواق العالم الممتلئة بكل شئ ، وحمل حلمه معه على جناح مبلل بالندى وسار به صوب الشرق المشرق ، وكانت طائرته تترنح من جراء الرياح وتتلوى داخل السحب ، وتوقف قلبى عن الخفقان حينما تخيلته وهو يفقد الأثر ويتوه فى ظلمات حالكة وفراغ لا حدود له فى طريق مليئة بالأهوال.

ولأننى أعرف الظلام جيداً تعاطفت معه بشدة ، لقيادته طائرته أحياناً فى أحضان الجليد ، وأحياناً يحلق عاليا خشية غدر الضباب والأمطار ، وفى أحيان أخرى يندفع فى اتجاه البحر وكأنما هو فى حالة قنص لشئ غير مرئى ، مثلما يفعل الضرير عندما يتحسس طريقه فى الظلمات ، ولكنه أخيراً يحلق فوق الشفق الذهبى للفجر ، يلقى بنظره على غموض الأرض متطلعا إلى بهاء اليوم الجديد.

لقد شعرت بكل هذه المشاعر الجياشة ، التى استثارتها قدرة الخالق المصور حينما سمعت أزيز الطائرات التى كانت تحوم فوق منزلى ، وسرتنى الصور الجميلة التى كانت تدور بمخيلتى ، ها هم الطيارون يأتون مسرعين أكثر فأكثر ، وها هم يعبرون المحيط بحثاً عن كشف أسرار الرذاذ والجليد والمرتفعات الجوية ، وهناك

طيارون يتخطون النيران يمرقون داخل السحب فيسكبون الماء ليطفئوا النيران ، وهناك طيارون يحملون رسائل المحبة والصداقة ويجوبون بها العالم صناعا للسلام ، وليس من أجل الكراهية أو الصراعات ، ويغامرون المرة تلو الأخرى ، حتى يسير البشر فوق الأرض بلا خوف ، تربطهم الأخوة فى البشرية .

أمتلك حواس أخرى تجعلنى دافئة هى وسائلى للاتصال البشرى مع العالم الخارجى ، فحاسة الشم هى أهم وأغلى حاسة لى ولا استغنى عنها فى أى يوم ، فهى تسبب لى الكثير من أحاسيس السرور بديلاً عن الألوان والضوء ، فالطقس مثلاً له روائح كثيرة جداً ، وعن طريقها أعرف الكثير عن المساكن والأشياء ، وأستطيع أن أتعرف على الكثير من الأزهار عن طريق شكلها ورائحتها ، فأنعم بمختلف أنواع الجمال التى تحملها الأوراق والفواكه والبذور ، وأعرف أن هناك نباتات تختلف رائحتها باختلاف الجو ، سواء أكان صحواً أم ممطراً.

وهناك أنواع من النباتات أستطيع بالكاد أن أصفها فى فصلى الربيع والخريف، ولهذا دائماً كانت أقصى أمانى أن تتعدد المفردات الخاصة بالشم واللمس ، هناك روائح ناعمة مثل النرجس ، أما شجرة صريمة الجدى (شجرة أزهارها غنية بالرحيق) فهى تنثر عبيرها وكأنها تغازل البشر ، أما رائحة الزنبق فهى تخطف هوى النفس ولكنها خجول وغامضة مهما اقترب الإنسان من أزهارها ، أشعر بالشمس والهدوء حينما أشتم رائحة حقول القش حديثة التخزين ، أما الغابات والجبال فلها روائح خالدة تدعونى لتمجيد الله ، وهناك روائح زكية كثيرة تبدو وكأنها تقترب منى؛ كى تلقى على تحية الصداقة كلما مررت بها ؛ فتعوضنى عن فقدان القدرة على رؤية الأشياء التى أحبها ؛ فأمد يدى نحوها حتى أتحسسها ، حاسة الشم بالنسبى لى مثل صديق النميمة الذى يهمس فى أذنى عن كل أحداث اليوم وعن روح الجمال ، فهو يخبرنى عن هطول الأمطار ، وعن تهذيب الحشائش وعبور السيارات فى الطريق، وعن المنازل التى بنيت حديثاً فى المدينة ، وعن وقت تناولُ الطعام.

إن آلاف الروائح التى أشمها تجعلنى أميز منزلاً عن الآخر وشارعاً عن الآخر ، ودائماً أفضل أن أكون أقرب ما يمكن من الريف.

ورغم أنى أحب المدينة جداً إلا أن كمية الضوضاء والهياج التى تنبعث من مدينة نيويورك تضايقنى ، كما تحبطنى رائحة زحام المحال والشوارع ورائحة الهواء المشبع بالجازولين ، فمن يعيدنى الآن إلى الأصوات الهادئة التى تنبعث من داخل حديقتى الصغيرة ، وإلى عبير الصباح والمساء الذى أشمه بداخلها ، فأنعم بالانسجام والهيام.

إن الخيال عين وأذن لكل من فقد أحدهما أو كليهما ، فهو يكمل النواقص ويوضح التفاصيل التى قد تطمسها قساوة الظلام والصمت.

لقد مررت حديثاً بتجربة كانت مصدراً لسرورى ، وجعلتنى أشعر بأنى أحيا حياة كاملة لقد كنت أجلس يوماً ما أمام الآلة الكاتبة الخاصة بى ، فى انتظار أن ترد إلى مخليتى فكرة ملائمة كى أنهى بها أحداث سيرتى الذاتية ، وفى تلك الأثناء أتتنى دعوة السيد دوبلداى يدعونى كى أشم رائحة الورد بحديقته ، وقلت لنفسى حمداً لله هذه الدعوة التى اعترضت تفكيرى أنقذت حياتى ، لقد أنهت لحظات من التفكير المتمرد كادت أن تدمرنى تماماً ، فليس أجمل من الخروج للاستمتاع برحيق الورود .

ولقد كانت الطريق إلى الحديقة جميلة ؛ لأن لونج أيلاند بهية دائماً كلما حل شهر يونيو حيث الهواء العليل الذى يزيل الإرهاق ، لأنه يرسل دعوة لا تقاوم للإنسان لكى يرتد طفلاً صغيراً ، فيترك معاناة الكد فى العمل ، ويأخذ الإنسان إلى حلم طفل صغير يحب أن يلعب الهوكى ، لقد قلت لنفسى تباً لذلك العمل الذى سيجعلنى أجلس فى البيت فى يوم بهى مثل هذا ، فمثل تلك الأيام نادرة كلما امتد بنا العمر ، فالجرى كطفل صغير يلهو فى السيرك فرصة لا تقاوم ؛ كى نعود صغاراً كسيرتنا الأولى .

ولا تتعجب عزيزى القارئ من تعاطفى مع حماسة الطفل وهو يشتاق إلى الذهاب إلى السيرك ، فأنا نفسى لدى رغبة ملحة أن أدخل إلى خيمة السيرك ، وألهو أسفلها وأشارك فى مظاهر اللهو به ، وإنى أتذكر حينما كنت طفلة صغيرة لم تبلغ السابعة بعد ، كنت أذهب فى صحبة مدرستى إلى السيرك ، وكان ذلك يمثل بالنسبة لى أعظم الدروس وأفضلها على الإطلاق فى طفولتى ، وفى تلك الأثناء كانت كلماتى محدودة جداً لم تكن الآنسة سوليفان قد درست لى سوى شهرين فقط ، ولكنى

تعلمت فيها كلمات تكفى لأن أفهم بأننى على وشك أن ألمس حيواناً طويلا جداً ، أو ضخما جداً ، أو قويا جداً ، لقد جاء الحنطور أمام باب المنزل ، وقمت بلمس الحصان العجوز تشارلى الذى عاش مع أسرتى أطول مما عشت معهم آنذاك ، وسألت هل كل الحيوانات لها طول تشارلى ؟ وردت على الآنسة سوليفان أن أحدها - وهو الفيل - يصل ارتفاعه إلى ارتفاع الحنطور نفسه ، وتحمست جداً حتى أننى لم أعد أقوى أن أظل جالسه فى مكانى.

ولاحظت أن تشارلى بطئ جداً ، ولكن كلما لامس السوط جسمه البدين أسرع قليلاً ، ثم أمسكت بالسوط وقبل أن تلحق بى الآنسة سوليفان عاجلت هذا المسكين بضربة جعلته يجمح عالياً ، وكاد أن يقلب العربة ، وقامت معلمتى بتهدئة تشارلى وأخرت سير الرحلة كثيراً ؛ حتى تفهمنى بأنه فى حال فعلت ذلك ثانية ؛ فستعود بى ثانية إلى المنزل ؛ ولن أرى الفيل الضخم أبداً أبداً.

أول شيء لفت انتباهى حينما دخلت أخيراً خيمة السيرك ، كانت تلك الرائحة الغريبة والمقززة ، فتعلقت بتنورة الآنسة سوليفان وساورنى شعور فى أول لحظة بأن أجرى مبتعدة ، وكان هذا الشعور فى تلك اللحظة أقوى من فضولى ، ولكن السكينة عادت إلى حينما وجدت يدها الحنون تلامسنى من جانب واليد الكبرى لأحد العاملين بالسيرك تلامسنى من الجانب الآخر ، وأعطِانى كيسا به الفول السودانى وأخذانى كى أشاهد الفيل ، وشعرت بضخامة أرجله الأمامية ، ورفعنى الحارس عالياً فوق كتفه حتى أتمكن من أن ألمس رأس هذا المخلوق وأذنيه اللتين تشبهان المروحة ، وكذلك ظهره العريض جداً والمغطى بحرير من الشرق تتدلى منه شراشيب وأجراس ، وكان شخص ما يستعد لاعتلائه فيما بعد ، وطلب منى أن أعطيه بعضاً من الفول السودانى، فربما تركنى ألمس خرطومه الطويل وأضع السودانى بداخل فمه ، وعندما طلب منى ذلك انتابنى شعوران مختلفان : الأول شعور بالدهشة ، والثانى حالة من الغضب ؛ لأنى أحب السودانى وكنت على وشك أن أضع بعضه فى فمى ، ولكن ضيقى لم يأخذ سوى ثانية واحدة أواثنتين ، فهناك شخص ما أعطانى كيسا آخر من السودانى ، وسمح لى بأن ألامس جسده النحيل والممشوق ، لقد كانت لاعبة جمباز ترتدى ثوباً قرنفلياً ، أخذت فى الضحك بسبب تفحصى لجسدها ، ثم قبلتنى.

ولقد عرفت فى السيرك أيضاً المغامرات العربية ، وأتيحيت لى الفرصة كى أتحسس قوافل الجمال ، بل وأمتطى ظهر أحدها كأميرة ، بعد أن تم إنزال الجمل على ركبتيه ، ثم صعدت فوقه ظهره المسنم الغريب ، وأحسست برائحته.

ومضى الوقت الجميل حتى أتى وقت الرحيل ، ولم يخفف من حزنى سوى تأكيد معلمتى أن السيرك سيعود مرات ومرات ، وفى كل مرة ستأخذنى إليه ثانية ، والحقيقة أن معالم الهودج البدوى كانت شيقة لأى طفل ، وبخاصة لمن لم يتصل بسحر العالم الخارجى من قبل.

لقد مررت فى حياتى بخبرات عديدة ، ومنها الإحساس بالفارق الرهيب بين مسافة العشرين ميل التى تقطعها السيارة فى نصف ساعة ، والتى كان يقطع فيها الحصان مجرد نصف ميل ، لقد عاصرت تغييرات ساحرة فى الأربعين عاماً الماضية، وعندما وصلت مع أصدقائى إلى حيث دار نشر السيد دوبلداى استقبلنا بحفاوة بالغة ، وأدركت من شخصيته وحديثه أنه إنسان يحب الطبيعة بقدر حبه لنشر الكتب وتجميعها.

وبعد أن تجاذبنا أطراف الحديث لدقائق ، خرجنا إلى الحدائق كى نشم الورود ، وشممت الكثير من أنواعها العديدة ، فهذه زهرة الورد المتسلق كثيفة الانتشار تطلق عبيراً لا يقاوم ، وهذه ورود مرحة برؤوس ملتفة تنتشر فى المكان وكأنها أطفال فرحة تحب المغامرة ، وهذه ورود رقيقة بجذور نحيفة ترتعش بين يدى ، وهذه ورود عالية وكثيفة وكأنما هى شلال يهبط متمايلاً من السماء ، كل الورود تنال إعجابى واحترامى ، كل الورود التى أحمل لها الذكريات تنمو فى تلك الحديقة ؛ فتستثير عبر أصابعى ذكريات الطفولة.

ولم أكتف فقط بشم رائحة الورود ، لأننى استمتعت بوجود نبات عود الصليب بكل روعته ، وبأنواع الزنبق والقرنفل ونبات العايق وصريحة الجدى المنتشرة فى كل مكان ، كل نفس أخذته كان مبعثاً للسرور ، وكل زهرة لمستها ألهبت بجمالها جوارحى ، فى روعة لا تدركها الأعين الفانية.

بالنسبة لى هناك عالم آخر من الجمال أجده فى تلك الحدائق ، إنه اللون

الأخضر المنتشر فى كل مكان فى الحديقة ولا يعوقه شئ عن الانتشار ، وأجده فى كل أنواع شجر الصنوبر الموجود بالحديقة ، والذى يخلق جواً بهياً لم يستطع أى من الأصدقاء أن يقاوم القدوم إليه ، ولقد أخذت أصابعى تعبث فى أغصان الصنوبر الضخمة ذات الإبر الخضراء ، مروراً بأعواد الصنوبر البيضاء الصغيرة والأوراق الناعمة مثل الحرير ، التى طاردتنا رائحتها فى كل مكان ذهبنا إليه ، واستمعنا لصوت أعواد الصنوبر التى كان يحركها الهواء فيعزف لنا مقطوعة جميلة من آلة كمان لا نراها ، وكان هناك أيضاً أخشاب التنوب والبيسية تلك التى حكى عنها جون روسكين قائلاً إن فروعها كانت تمتد سلاسلها فى شكل خلاب ، وكانت تتراقص بداخلها أشعة الشمس ذهاباً وإياباً ، لقد أحببت من كل قلبى النباتات الخضراء طوال حياتى ، ولا يوجد شئ فى الطبيعة يعادل ما تستثيره فى داخلى.

إنها تشبه البشر ، فهى ترمز لكل شئ خالد وسام فى الحياة ، مثلها مثل الأمل والشجاعة والإخلاص ، إن خضرتها التى لا تنتهى ذات رائحة خالدة ، وهى نعمة تعيننى على قهر رتابة الشتاء ، لا يمكن تصور مدى سعادتى حينما عبر السيد دوبلداى عن عشقه لمصاحبة أشجار الصنوبر والتنوب ، وأنه سعى لسنوات طويلة من أجل الحصول على تلك النباتات الخضراء الكثيفة ، فى زمن طغت فيه حضارة الآلة ، ولقد أخبرنى أيضاً كيف أن العديد من الذين زاروا حديقته – ومن بينهم جون بروفس و جون موير – قاموا بزراعة شجرة فى حديقته.

لقد غادرت تلك الحديقة وأنا – بكل صدق – أشعر بانتعاش شديد وزخم من الأفكار التى قفزت من مخبئها تلاحقنى ، فأصبحت فى حالة مزاجية مهيأة للانهماك فى العمل من جديد.

فى مثل هذا العالم أحيا ، وقلة من البشر تدرك حقيقته البسيطة ، ولقد تعلمت الكثير واختزنته فى عقلى ، وعندما أفكر فيما تعلمته أسأل نفسى: هل لدى الناس الآخرين هذه الأفكار والمشاعر ؟

هل يدركون الحياة الروحية كما أدركها ؟ بناء على ما يخبرنى الناس إياه ، أستطيع أن أقرر أن قصور الحواس يمكن أن يساعد على تقوية العمليات العقلية ، وأستطيع أن اعترف بأن الضعف يؤدى على النقيض إلى القوة ، وهذا ما أخبرنا إياه القديس بولس ؛ وعليه فإن الإيمان بذلك يريح من فكر أولئك الذين أصيبوا بقصور جسمانى.

وتفسير ذلك أن القصور يجعل الإنسان ينظر بداخله عما يميزه ؛ وينتج عن ذلك أفكار شيقة ، فيصبح للأشياء البسيطة التى تحدث يومياً أهمية غير عادية ، ويحدث ذلك عندما تتحد قدرة الخالق المصور مع العناصر الروحية بداخل معمل العقل البشرى.

إنها معجزة أن يتحول حادث بسيط بلا أية قيمة إلى شىء عبقرى وثمين يخرج من عقل الإنسان ، ورويداً رويداً تحدث التحولات والتصنيفات داخل العقل.

بداية يتم تسجيل الكائنات والأحداث التى هى مبعث السرور للنفس ، ثم يحدث التخزين بالذاكرة كى تنعش الإنسان وتكون مصدرا للتسلية فى أوقات الوحدة ، ولهذا لا أشعر أبدا بأنى عمياء وصماء ، لم أشعر بذلك الجحيم إلا قديماً وقديماً جداً.

لقد أصبحت حياتى سعيدة جداً ؛ لأننى أمتلك أصدقاء رائعين ، ولدى وفرة من الأشياء الشيقة التى يمكن أن أقوم بها ، ونادراً ما أفكر فى أوجه القصور التى لدى ، ولم أحزن من ذلك على الإطلاق ، ولربما كانت هناك مجرد لحظات للاشتياق ، ولكنها تمرق كما يمرق النسيم عبر الزهور ، فالهواء يسرى ولكن الزهور لا تفقد تماسكها ، وتظل دائما محافظة على قناعاتها، وأحياناً يأتينى هاتف فى ليلة جميلة يذكرنى بحتمية حاجتى للآخرين لأنى فقدت الإبصار ، ولكن وقعه بالنسبة لى يكون مثل أنشودة الحب التى يسمعها الطير قادمة من العش الذى يسكنه الصغار ، تحمل أصوات استغاثة من الأخطار ، وسيظل هذا الهاتف يناديني ، ولن يتوقف إلا عندما أبذل قصارى جهدى ، حتى أتمكن من مساعدة الآخرين على تحطيم جدار الظلام ، ومن أن أغمر صحارى الصمت بمياه السعادة المعسولة.

أدخلي زوجك المطبخ

Put Your Husband in the Kitchen

المصدر : مجلة الشهرية عدد أغسطس ١٩٣٢

فى أثناء طفولتى ، وقبل التحاقى بمراحل التعليم ، سنحت لى الفرصة بأن أشارك فى الطقوس المعقدة – فى ذلك الوقت – والمرتبطة بصناعة كعكة الفواكه فى عيد الميلاد ، وعلى الرغم من كونى عمياء وصماء وبكماء إلا أن التجربة كانت مثيرة بالنسبة لى ، وبدأنا فى تجهيز كل المقادير المطلوبة ، كقشور البرتقال والليمون والأعشاب العطرية والمكسرات والتفاح والزبيب والعنب ذى البذور التى يجب أن تنتزع والعديد من الأشياء الأخرى ، ولقد شجعتنى العائلة على المشاركة فى إعداد تلك الأشياء ، اعتقاداً منهم بأن ذلك من إحدى الوسائل المضمونة لتفادى إزعاجى لهم ولو لوقت قصير ، أما أنا فكنت تواقة إلى مساعدتهم ، وكانوا دائما ما يكافئوننى على انتزاع بذور العنب .

وعلى أية حال ، فإن إعداد كعكة الفواكه كان مهمة طويلة ومعقدة ، وإذا ما حدث سهو ونسينا إحضار إحدى المكونات المهمة ، كان يتعين على أحد الأشخاص الذهاب إلى المدينة لإحضارها ، وكنا نشعل الفرن فى الوقت الذى يتم فيه خلط المكونات بعناية بالغة ، وفى النهاية حينما يكون كل شئ جاهزا ، وتصل درجة حرارة الفرن للدرجة المطلوبة ، نضع فيه وعاء الكعك الكبير بكل احتراس.

لقد كان القيام بتلك الطقوس عملاً صعباً ، يتطلب إشعال الفرن لعدة ساعات للوصول لدرجة الحرارة المطلوبة ، وكان يتعين كل شخص الحذر والدقة ، خشية القيام بخطوة غير محسوبة ، قد تفسد خليط الكعك الثمين ، وإذا سارت الأمور على ما يرام إلى النهاية ؛ فإننا قد نحظى بكعكة فواكه رائعة جداً ، بدونها لا نشعر ببهجة عيد الميلاد.

وفى هذه الأيام تصبح تلك الطقوس فناً مفقوداً ، بكل السرور الذى تبعثه فى الأطفال وبكل المهارات الفائقة التى تتطلبها من الأمهات القائمات على إعداد الكعك.

ولم يعد مطلوباً من ربة المنزل العصرى فى سبيل إعداد كعكة ، سوى أن تتوجه إلى خزانة مطبخها ؛ لتحشد المكونات الجاهزة ، حتى أنها لم تعد تتحمل عناء تقشير المكسرات بل تحضرها مقشورة مسبقاً ، وإذا ما نقصها أى من هذه المقادير فإنها تطلبها تليفونياً من متجر البقالة المجاور ، كما أن الكعكة تكاد تخبز نفسها فى فرن غاز آلى مزود بمؤشر لدرجات الحرارة ، فى الوقت الذى تذهب فيه ربة المنزل للقيام بمهام أخرى ، ومن المحتمل كذلك أن تحصل عليها بشرائها معلبة من أقرب متجر ، وسواء خبزتها بنفسها أو اشترتها جاهزة ففى كلتا الحالتين سيكون فى ذلك توفير للوقت والجهد ، إذا ما قورن بما كان يحدث منذ عدة سنوات قليلة مضت .

لقد كان يتعين على الجدات من قبل ، أداء الكثير من المهام الشاقة والكئيبة فى سبيل إدارة منازلهن ، لقد كن يعملن من مطلع الصباح حتى حلول الليل ، وكن ترين أنه من المستحيل أن يأتى يوم تخرج فيه المرأة للعمل.

وبعد ذلك وعندما أدركنا عصر الآلة ، فإن التغيرات التى طرأت على المنازل لا تقل أبداً عن تلك التى طرأت على المصانع.

إن ربة المنزل اليوم ، ترى أن كثيرا من المسئوليات الثقيلة التى كان يجب عليها القيام بها فى عصور سابقة ، قد أزيحت عن كاهلها ، مثل صناعة الخبز وحياكة الملابس ، وأن كثيرا من المهام التى مازالت مسندة إليها ، قد تم تبسيطها بشكل كبير ، لتؤديها بمنتهى اليسر ، موفرة الكثير من الوقت والجهد.

إن الكهرباء والغاز والآلات العديدة قد قللت من حجم العمل المنزلى وخففت من أعبائه السابقة ، ونتيجة لذلك ؛ فالمرأة اليوم تتمتع بدرجة من الفراغ ، لم تكن تجرؤ جدتها على الحلم بها يوماً ما.

وعما إذا كانت المرأة تستفيد من وقت فراغها الاستفادة القصوى أم لا ، فذلك سؤال مثير للجدل ، ولن أطرحه الآن هنا ، وإنما النقطة التى أريد أن أؤكد عليها ، هى أن وقت فراغ المرأة المتكسب حديثاً ، لم يكن إلا نتيجة لاختراع الآلات والأجهزة ، التى وفرت الكثير من الوقت والجهد.

وتلك ملاحظة شائعة ، ولا أدعى لنفسى الأصالة فى طرحها ، ولكنى حينما

كنت أفكر فى الإخفاقات المأساوية للاقتصاد الحالى ، لاح لى أن تلك الملاحظة ليست مكررة وشائعة إلى هذا الحد ، بيد أن القليل من الناس هم الذين يدركون مغزى أن وقت الفراغ الجديد ، الذى تنعم به المرأة الآن بفضل الآلات الحديثة ، يقابله توفير للوقت والجهد بالنسبة للرجال فى مصانعهم ومكاتبهم بفضل تلك الآلات الحديثة أيضاً، إن رجل الصناعة يستغل تلك الآلات المتطورة من أجل زيادة الإنتاج ، وها هو قد وجد المزيد من قنوات التجارة ، ولكنها للآسف مليئة بالبضائع الراكدة ، التى لا تجد من يشتريها ، أما زوجته فقد استغلت تلك الآلات من أجل إيجاد وقت الفراغ الذى طالما حرمت منه فى الماضى.

إن المرأة العادية غير ملمة بتعقيدات الاقتصاد ، ولكنها فيما يبدو تدير شئون منزلها الاقتصادية بطريقة أفضل من تلك التى يقود بها الرجل الشئون الاقتصادية فى عالمه الأوسع، فالزيادة المدهشة فى استخدام الآلات الحديثة فى الصناعة ، جلبت معها إفراطا فى الإنتاج وبطالة ومعاناة على مستويات عديدة.

أما النساء فكن أكثر حكمة ، ويتمتعن بحدس قوى فى الأمور الاقتصادية ، وعلى أية حال فهن يستخدمن الأجهزة الحديثة ، من أجل توفير جهدهن ؛ كى يقمن بأشياء أخرى يبدعن فيها. وإنى لأعتقد أن النساء يقدمن فى بيوتهن درسا عمليا فى الاقتصاد ، يجب على أزواجهن أن يعوه جيداً. وبينما واضعو النظريات مازالوا فى بحث مستمر حول أسباب الإحباط ، والسياسيون يصارعون من أجل الوصول لحلول للمشكلات السياسية ، فإنى أستطيع أن أقول إن رجل الأعمال الذكى ، من الممكن أن يجد حلولا ممكنة لمشكلاته فى العمل ، إذا قضى بضعة أيام فى مطبخ زوجته.

ودعونا ننظر ماذا يمكن أن يحدث لو تحقق ذلك.

دعونا نفترض أن السيد جونز هو أحد رجال الصناعة المعاصرين ، كما أن زوجته السيدة جونز امرأة ذكية ، تعرف الكثير عن الاقتصاد ولديها مُقدرة فائقة على تحليل الأمور ، وغالباً ما تناقش مشاكل العمل مع زوجها ، وتحاول إقناعه بوجهة نظرها ، ولكن دون جدوى.

وفى النهاية قررت الزوجة أن تقوم بتجربة إقناع زوجها بأنه مدين للبشرية ،

بتوضيح صحة أفكاره من خلال تطبيقها فى المنزل ، ذلك الحقل الوحيد الذى لم تمتد إليه يد الرجل بعد بعقليته المنظمة ، ولقد وافق السيد جونز على قبول التحدى ، وقبل أن يكون خادماً وطباخاً وربة منزل لفترة محددة ، ووعد بالكثير من التطورات التى تحدث بإداراته للمنزل بالطريقة التى يدير بها عمله الخاص.

لقد نشأ السيد جونز فى إحدى القرى ، وتلك النشأة جعلت من العناء المرتبط بالأعمال المنزلية شيئاً مألوفاً بالنسبة له ، وفقاً لما كان يراه فى سنوات صباه السابقة.

وعلى الرغم من فكرته الطفيفة حول مواكبة المنزل هو الآخر لعصر الآلة ، إلا أنه لم يكن يتصور تلك الثورة الجامحة ، التى أحدثت تغيرا جذريا فى اقتصاديات إدارة المنزل ، إلا عندما قام بمعاينة مطبخ زوجته المزود بموقد وفرن يعملان بالغاز وماكينة غسل الأطباق والخلاط الكهربائى ، والعديد من الأجهزة الأخرى التى توفر الجهد والوقت .

كما قام بفحص خزانة المطبخ المحتوية على كل أنواع الأغذية سابقة الإعداد ، ولقد كان مندهشاً على الأخص بالدقيق الخاص بصنع الكعك وبالمكسرات المقشورة.

آه !! يالعجائب عصرنا الحديث !! قالها السيد جونز محدثاً نفسه ، ثم أردف قائلاً إنى لأتذكر كعكة المكسرات ، التى كانت تعدها أمى ، يالها من مهمة شاقة فى ذلك الزمن !! لكن الآن ومع كل هذه المكونات الجاهزة والخلاط الكهربائى وموقد الغاز ذى المؤشر ، يمكننى صنع عشر كعكات فى وقت أقل ، عما كانت تقضيه أمى فى صنع كعكة واحدة بطريقتها البدائية.

ووفقاً للأفكار التى جعلت منه رجلاً للصناعة ، فإن السيد جونز بدأ فى تحويل طاقاته الكامنة إلى حقائق ، وعندما تجمعت الأسرة على منضدة العشاء فى المساء ، لم يستطع مدير المنزل الجديد كبح حماسته وصاح قائلاً لزوجته : انظرى يا مارى ، لقد صنعت عشر كعكات أما أنت حينما كنت تديرين المنزل فكنا نحصل على كعكة أو اثنتين على الأكثر إن عقلية الرجل المنطقية والمنظمة والفعالة مطلوبة حتى فى أعمال المطبخ ، ذلك المجال الذى كان حكراً على المرأة فقط.

كان الكعك جيداً وشهياً ، ولقد تناولت العائلة ما يقرب من كعكة كاملة

باستمتاع ، ولكن مازال هناك تسع كعكات باقية ، وبعقلية رجل المبيعات الماهر ، حاول الطاهى الجديد أن يحث أسرته على تناول كعكة أخرى ، وبالفعل تناولوها من أجل إرضائه ، ولكن دون استمتاع ، وعند هذه النقطة وجد السيد جونز نفسه أمام المشكلة التى يواجهها يومياً فى عمله ، وهى العمل على زيادة المبيعات لتقليل البضائع المخزنة ومواجهة النفقات المتزايدة ، وكل ما كان يستطيع فعله هو حث الآخرين على زيادة الاستهلاك ، ولذلك تبنى أسلوب الدفع النقدى وقدم لويليام الصغير عملة نقدية كى يأكل جزءا كبيرا من الكعكة الثالثة ، وفى النهاية حاول جونز بكل حيل رجل المبيعات المعروفة ، كالملاطفة والتملق والرشوة ، أن يستميل عائلته لكى يأكلوا الكعكة الثالثة إلى الحد الذى وصل فيه كل فرد من أفراد العائلة لدرجة كبيرة من الضجر والضيق من توسلاته لهم ، وعند هذه النقطة أدرك السيد جونز أن تلك هى أعراض السوق المتضخم.

وفى تلك الليلة أتى طبيب العائلة ؛ ليعالج أفرادها من نوبات شديدة من سوء الهضم ؛ جراء الإفراط فى تناول الكعك ، ولكن مع الصباح بدأوا جميعاً فى التحسن.

وبينما كانوا جالسين على مائدة الإفطار ، قالت السيدة جونز لزوجها : بالطبع أنت تعرف أن أجر الطبيب سوف تقتطعه من ميزانيتك ؛ لأنها كانت غلطتك فأجاب السيد جونز : ليس فى ميزانيتى ما يكفى ، وأنت تعرفين أننى كنت أدفع للطبيب دائماً، قبل أن نتبادل الأدوار ، ولا يجب تحميل أجر الطبيب على الميزانية المخصصة للأغراض المنزلية.

فقالت السيدة جونز : معذرة يجب عليك أن تدفع ؛ لكى تعرف فيما بعد عواقب أن تغرق الأسواق بالسلع ، فمن غير الممكن أن نكون فى حاجة إلى كعكة واحدة ، ثم تقوم أنت بإعداد عشر كعكات ، ونلقى بتسع كعكات فيما بعد فى سلة المهملات ، وإنى لأعرف أن هذا من الطرق الشائعة لديكم فى عالم الاقتصاد إنه إغراق السوق ، ألا تسمونه كذلك ؟!

وهذه ليست المرة الأولى التى يهدر فيها الطعام ، حينما تغرق به الأسواق ، وبالطبع فإن مصانعك دائماً ما تنتج بضائع يتم إعدامها فيما بعد ؛ بسبب نقص الطلب

عليها.

وإنى تركتك يا جونز ؛ لتصنع عشر كعكات من أجل أن تدرك وترى بعينيك حجم الخسائر التى سنكابدها ، جراء إهدار تلك الكمية المتبقية ، وإنى لأعلم أنك تقوم بمجهودات مميزة من أجل زيادة الإنتاج ، لكن فى المقابل لا تحسن التصرف فى الإنتاج الزائد.

قال السيد جونز : أنت تسخرين منى ثم أردف حسناً ربما أكون قد أخطأت ، ولكن على أية حال ساعديني فى التصرف فى سبع الكعكات الفائضة منذ الأمس ، فمن المؤسف أن نلقى بها فى سلة المهملات.

و بالفعل ساعدته السيدة جونز ، وأخذت الكعك الباقى فى سيارتها ووزعته على أصدقائها. وكانت تعرف أنه لن يمر وقت طويل ، حتى يهديها أصدقاؤها فى المقابل بعض من أكواب الجيلى أو أى طعام شهى آخر صنع فى البيت.

إن السيد جونز لم يحب طريقة زوجته فى حل المشكلة ، ولكنه لم يكن فى وضع يسمح له بالاعتراض ، فتلك المقايضة للبضائع بين الأصدقاء تبدو له بدائية جداً ، وعودة لاقتصاديات القبائل الهمجية ، فالاقتصاد لديه مرتبط بالمال والمنظمات الكبيرة والكيانات المالية المعقدة والأسهم والصكوك والصناعة المصرفية والانتمان ، وهو يفخر بتلك الكيانات الشامخة التى تتسم بها حضارتنا ، ولكن فى خضم تلك الغابة الرهيبة ، فإن السيد جونز لم ير الأشجار، ونسى الغرض الرئيس لأى نظام اقتصادى ، ألا وهو تسهيل البضاعة وتبادل ضروريات الحياة وكمالياتها ، لكى نجعل الحياة أسهل وأجمل .

ومثل كثير من رجال الصناعة ، فإن السيد جونز اعتبر أن الصناعة ليست وسيلة من أجل إسعاد البشر ولكنها غاية فى حد ذاتها ، وما من شك فى أنه قد واجه صعوبات فى التعامل مع المبادئ الأساسية لاقتصاديات إدارة المنزل ، التى لا تهدف إلا لتعزيز الرخاء وسعادة الأسرة.

وعندما عادت السيدة جونز من رحلة توزيع الكعك ، كان زوجها مشغولاً فى تنظيف المنزل بالمكنسة الكهربائية وفى وضع اللمسات النهائية لسجادة غرفة

المعيشة؛ فصاحت قائلة : حسناً لقد انتهيت من التنظيف ، هل تعرف أنك كنت ستقضى أربعة أضعاف هذا الوقت إذا كنت تستخدم المكنسة اليدوية ، أما عملية التنظيف بالمكنسة الكهربائية تستغرق بعض دقائق فقط ، لكن من الحكمة أن نستغل الوقت الذى وفرته لنا الآلة فى صنع أشياء مفيدة أخرى ، يالها من نعمة ، من الواجب علينا إذن أن نشترى بيتاً أوسع من هذا كثيراً !!.

رد السيد جونز بدهشة : هل فقدت صوابك يا مارى ؟ ، فأجابت زوجته : ليس بعد ياجونز ، ولكنى بدأت أفهم طريقتك فى النظر إلى الأمور ، فأنت تحب التوسع فى كل شئ ككل رجال الأعمال ، حتى وأنت فى المنزل أيضاً تحاول استغلال الطاقة الإنتاجية القصوى للمكنسة الكهربائية ، وليس من المعقول أن تشترى بيتاً جديداً وسجاداً جديداً من أجل تشغيل المكنسة لأطول فترة ممكنة ، كم كنت حمقاء طيلة هذه السنوات عندما تركت المكنسة فى الخزانة ، ولم أشغلها إلا لبضع دقائق معدودة فى اليوم ، يالها من خسارة كبيرة !!

قال السيد جونز : أرجوك يا مارى لا تسخرى منى فأجابت زوجته : معذرة هل ضايقتك ؟ ولكنى أفكر بمنطقك فى إدارة العمل ، هل نسيت منذ عامين حينما أتيت بجهاز يمكن العامل الواحد فى مصنعك من مباشرة آلتين فى الوقت نفسه ؟ وبالتالى تضاعف الإنتاج وقلت أنت وقتها إنه لن يمر وقت طويل قبل أن أشترى سيارة جديدة ومعطفا من الفرو والكثير والكثير لأن الإنتاج كان مضاعفاً كما خططت، ولكن مع الأسف فى نهاية العام كان أكثر من نصف الإنتاج مكدساً فى المخازن وأغلقت المصنع لحين التخلص من الإنتاج الزائد .

وفى النهاية وبينما ابتسمت السيدة جونز ابتسامة ذات مغزى ، تمتم السيد جونز بكلام غير مفهوم واندفع إلى المطبخ.

وفى المساء بينما كانت السيدة جونز تهم بالخروج لمقابلة أصدقائها فى النادى، وجدت زوجها جالساً فى غرفة المعيشة أمام المدفئة يدخن سيجاره ، وفى يده الأخرى كتاباً كان مستغرقاً فى مطالعته ، ولكن ثمة شعورا بالذنب كان يعتلى قسمات وجهه ؛ فسألته : ما الخطب يا جونز ؟ ثم أردفت : ألا ترى أنك تضيع الوقت بهذه الطريقة ، فبالطبع أنت لا تجلس فى مكتبك فى مثل هذا الوقت كى تطالع كتابا ، وحتى إذا لم

يكن لديك ما تفعله ، فإنك على الأقل تحاول أن تبدو مشغولاً. فأجاب السيد جونز موضحاً : أنا لست فى حاجة لتحضير العشاء الآن ، فكل شئ قد تم تحضيره .

وعندما عادت السيدة جونز من الخارج ، كانت تحمل أخباراً سارة لزوجها ، فسيدات الكنيسة سوف يقمن حفل عشاء خيريا كبيرا ، والسيد جونز رأى فى مثل هذا الحدث فرصة لكى يظهر كفاءته وتنظيمه وإنتاجه المتنوع فى اختبار حقيقى.

وفى الحال توجه إلى الهاتف ، وبدأ فى طلب كميات من اللحوم والدجاج والجيلى والمخللات وأشياء أخرى سوف يحتاجها من أجل إطعام مائة من المدعوين.

وفى المساء حضرت السيدة سميث لتتفق مع السيدة جونز على ترتيبات العشاء ، لكن السيدة جونز أشارت إلى زوجها وقالت : ها هو مدبر المنزل الجديد ، وكان السيد جونز سعيدا بحصوله على تلك الفرصة ؛ ليثبت للجميع كفاءته ، وبدأ بالفعل فى إعداد خطة للقيام بالعمل كاملاً ، واثقاً من أن التنظيم الجيد والإنتاج المتنوع سوف يحققان أفضل المكاسب ، ولكن السيدة سميث قاطعته قائلة : إن مقترحاتك هذه سوف تفسد كل ترتيباتنا ، فكل عضو فى النادى لديه ما سوف يزودنا به من أجل إقامة هذا الحفل ، فأنا على سبيل المثال أحضر الجيلى كل عام من أجل هذا العشاء ، كذلك السيدة دو تحضر المربات والمخللات ، والسيدة رو تمدنا بالدجاج من مزرعتها ، والسيدة فرانكلين تزودنا بالبطاطس المقلية ، ولذلك فنحن ننفق القليل من المال ، فكل منا يتبرع بأفضل شئ يستطيع صناعته منزلياً.

وبابتسامة متسامحة أضافت السيدة جونز : كما ترى يا جونز ، لا أحد منا يستأثر بتجهيز العشاء كاملاً ، فنحن نخطط ونتعاون ولا نتعاطى مع الأمر مثلكم يا رجال الصناعة ، حينما تفتح سوق جديدة ، تتنافسون للاستئثار بها ، ولو فعلنا ذلك لتوافر لدينا من الطعام ما يكفى ألف شخص وليس مائة ، فمثلاً السيدة رو سوف تعد سلطة البطاطس ، وفى الوقت نفسه سوف تمدنا السيدة فرانكلين بسلطة بطاطس أخرى ، نعتقد أنها أكثر تميزاً ؛ وبذلك سيكون لدينا فائض فى الإنتاج وسنخسر جميعاً فى النهاية.

ونحن نتفادى ذلك بتحديد احتياجاتنا الفعلية ، ونتعاون فيما بيننا للوفاء بها ،

وأنا أعرف يا جون أن مثل تلك الطريقة ربما تصدمك لبدائيتها ، ولكنها فى الحقيقة تحقق الغرض مع أقل الخسائر.

وفى النهاية فإن السيد جونز تسلل بعيداً ، وتناول الهاتف ليلغى الطلبات التى قام بحجزها من قبل.

وبعد ذلك صار السيد جونز رجلاً أكثر تحفظاً ، ولم يعد يجعل من نفسه مرمى لسخرية زوجته ؛ بإعداده أشياء أكثر مما تستطيع أسرته استهلاكه ، ليس لشئ سوى لإظهار مهارته فى التدبير المنزلى وفى استخدام الآلات الحديثة ، وفى غضون أيام قليلة ذهب إلى النادى وبدأ فى ممارسة لعبة الجولف ، وخصص كثيرا من ساعات فراغه فى اكتشاف ما فى المكتبة من كتب ،

ووجد نفسه مهتماً بالكثير من الموضوعات المسلية ، وبالفعل أمتع نفسه كثيراً ، بالرغم من نظرة العتاب على وجه زوجته ، حينما تضبطه متلبساً وهو يلهو فى أثناء أوقات العمل.

وفى يوم من الأيام قالت له زوجته : من الممكن أن تدرك الآن يا جونز أن الهدف من استخدام الآلات الحديثة هو توفير الجهد وتوفير الوقت ، من أجل استثماره فى أشياء مسلية ومبهجة.

وبعد وقت قليل عاود السيد جونز الاهتمام بأعماله ، وكانت زوجته مقتنعة بأنه قد عاد لعمله مزوداً بدروس تنويرية فى كيفية الإدارة الاقتصادية.

بالطبع ليس هناك من أحد يتصرف بطريقة أكثر حمقاً من طريقة السيد جونز فى إدارة اقتصاديات المنزل ، ولكن هناك كثيرين مثل السيد جونز يتصرفون بطريقة أكثر حماقة فى عالم الصناعة ، فهم يتوسعون فى الإنتاج ويصنعون سلعاً ، دون أدنى مبالاة باحتياجات السوق.

قد تبدو المقارنة التى عقدتها متوازنة ، حيث إن الأسرة وحدة صغيرة وثابتة ،ولذلك يمكن تقدير متطلباتها بسهولة ، وتختلف عن عالم التجارة والصناعة الواسع ، ولكن الدولة ما هى إلا محصلة لتلك الوحدات الصغيرة من الأسر ، وبالتعاون الحقيقى يمكن أن يتم تقدير كمية البضائع التى تحتاجها الدولة ككل.

وإذا كنا نعانى فى الوقت الحاضر الإفراط فى الإنتاج أو ضعف الاستهلاك؛ فإن علينا أن ندرس موضوع القوة الشرائية ، ولكنه موضوع كبير ولن يتسع المجال لذكره الآن ، ولكن النقطة التى أريد توضيحها هنا ، هى أنه من الواجب علينا استغلال الميكنة الحديثة من أجل توفير الجهد بدلاً من إغراق البلاد ببضائع زائدة تسد قنوات التجارة ، وهذا يقتضى بعض الجهد التعاونى لتحديد حاجات الشعب والإنتاج وفقاً لها.

ومن خلال القصة السابقة ، سنجد أن السيدة جونز قد أبلت بلاء حسناً فى استثمار وقت فراغها ، ولكن من المشكوك فيه أن مئات الآلاف حول العالم مثل السيدة جونز يستغلون الثروة الجديدة المتمثلة فى وقت الفراغ الذى وفرته لنا الآلات الحديثة ، ولكن على الأقل فما زالت الفرصة قائمة .

وقد فازت المرأة بالمعركة الأولى فى ذلك ، أما فى عالم الصناعة – أى عالم الرجال – فإن الآلة تعمل من أجل زيادة سبل الرزق للشعب ، وإذا أردنا الفوز بتلك المعركة الكبرى فما علينا إلا أن نتبنى رؤية جماعية للميكنة وللبناء الاقتصادى المعقد القائم عليها.

أنا على قناعة أن الميكنة قد أفسدت بعضاً من حياتنا ، فنحن دفعنا وما زلنا ندفع ثمنا باهظا للفوائد التى منحتنا إياها ، ولكن الخطأ يقع علينا لأننا لم نستخدمها بالطريقة المثلى ، وإذا قدر أن يتوقف عصر الميكنة الآن ، فإنى أستطيع القول بأن عيوبها كانت أكثر من فوائدها ، ولكن من الآن فصاعداً فإن عصر تطور الآلة قادم لا محالة ، ولم نعد نستطيع أن نلقى بالآلة جانباً على الرف ، ولكن مهمتنا أن نوظفها فيما يناسب احتياجاتنا وبشكل صحيح ؛ حتى نقلل من شقاء الإنسان ، ويحصل كل فرد على فرصته فى الحياة السعيدة ، وفى وقت الفراغ الذى إذا استخدمناه بطريقة حكيمة ؛ سيمنحنا الصفاء الذهنى والروحى.

إننى لا أنصب نفسى خبيراً اقتصادياً ، ولكنى أحاول أن أحلل المشكلة من خلال وجهة نظر بديهية لإنسان غير متخصص ، وإننى أرى مثل أناس كثيرين أن الصناعة وتبادل السلع هما عصب الحياة الحديثة ، ومازالت لدينا الفرصة لاستثمار

الميكنة الحديثة من أجل توفير جهدنا ، وهذا يعنى أيضاً توفير الكثير من ساعات العمل لجموع غفيرة من البشر.

وفى النهاية فإن ازدهار عصر الميكنة لا بد أن يؤدى بالإنسانية إلى مزيد من الرخاء والرفاهية ، وليس مزيدا من الشقاء ، واللهث وراء زيادة الإنتاج غير المبررة.

وهل من الكثير أن نتوقع منكم يا رجال الصناعة ورجال الدولة أن تستخدموا براعتكم من أجل إعادة تنظيم البناء الاقتصادى ؛ للاستفادة من مميزات الآلات التى اخترعتموها ؟ وإن لم تستطيعوا ذلك ، فإن النساء سوف يدخلنكم إلى المطبخ ؛ لتتلقوا بعض الدروس فى بدهيات الإدارة الاقتصادية.

الآنسة كيلر تحتفي بمتيح الإبصار

Miss Killer Celebrates a Sight - Giver

المصدر : مجلة نيويورك تايمز : عدد ١٧ نوفمبر ١٩٢٩

إذا أردنا أن نشير إلى أعظم من أحسن إلى المكفوفين ، إلى الشخص الذى أعطاهم مصدراً دائماً للسعادة والمنفعة ، فإن الأصابع ستتجه بكل تأكيد نحو لويس برايل .

منذ قرن مضى ، فتح هذا الضرير الفرنسى المتواضع ، الذى كان تلميذاً فى المعهد القومى فى باريس ، فتح آفاقاً جديدة للمعرفة والسعادة للمكفوفين ، الآن وفى الاحتفال بمئوية اكتشافه نحتفل به نحن فاقدو البصر بامتنان؛ لصنيعه الذى سكب عسلاً من الكلمات المطبوعة الملموسة على مرارة بحار الأسى التى نحياها .

عندما كان لويس برايل تلميذاً صغيراً تعلم كيفية القراءة والكتابة باستخدام نمط الكتابة الرومانية المزخرفة ، وبعد ذلك قام بدراسة كل النظم الموجودة التى يظهر فيها الحرف بارزاً ، وتبنى طريقة التصوير النقطى كأساس بنى عليه ابتكاره ، وهذه الطريقة ابتكرها كابتن بربير الضابط فى سلاح الفرسان الفرنسى.

كان الحرف عند بربير يتكون من ست نقاط ، ولكنه كان طويلاً جداً ورأسياً بدرجة يصعب فيه تغطية الحرف بالإصبع ، وبعد جهد ومثابرة نجح برايل فى أن يبسط هذه الطريقة بشكل جعلها أفضل وسيلة اتصال بين عالم المكفوفين وعالم المبصرين.

تسافر مئات الخطابات بالبريد يومياً ، مكتوبة بالأحرف التى ابتكرها برايل الذى لو لم يكن قد ظهر فى الحياة ، أو أنه لم يقض معظم أيام حياته يبحث بكل حماسة فى سبيل المكفوفين ، لما ظهرت للوجود تلك الوسيلة للاتصال ، والآن فإن أعظم الكتب أصبحت مكتوبة بطريقة برايل للمكفوفين ، ومتوفرة على أرفف المكتبات العامة والمؤسسات التعليمية.

إن طريقة برايل قد استخدمت فى كتابة كتب كثيرة مكتوبة فى الأصل

بالعديد من اللغات ، فالإنجيل تم تدوينه بطريقة برايل ، وكذلك القرآن ، ولقد أدخل دكتور مورى وهو أحد المبشرين الإسكتلنديين طريقة برايل فى طباعة اللغة الصينية.

لا يمكن أن تمر الذكرى السنوية للاكتشاف المهم لبرايل دون الوقوف عندها، لا يمكن أن يكون هناك تعليم دون وجود كلمات مرئية كانت أو محسوسة ، وعندما يفكر الإنسان فى المعاناة التى يعيشها كل المكفوفين فى العالم قبل أن يتعلموا القراءة ؛ لما تعجب مما ورد فى الإنجيل فيما عناه أن البداية كانت الكلمة من الله ، وأن الكلمة كانت نور الإنسان.

لقد كان الأمر جلياً منذ عدة سنين ، بأنه إذا كان هناك من سبيل لتعليم المكفوفين ، فلابد من وجود طريقة يستطيعون من خلالها أن يقرأوا ويدرسوا كما يفعل المبصرون ، ولقد حولت طريقة برايل الرغبة حقيقة ، إن العصا السحرية التى كتب بها معجزته عبارة عن مجموعة من ست نقاط ، الخط الرأسى فيها يتكون من ثلاث نقاط ، والخط الأفقى يَتكون من نقطتين ، ويمكن استخدامها فى مجموعات بمواضيع مختلفة لتشكيل الحروف الأبجدية كلها ، من أجل الحصول على كلمات لها دلالات ، تماماً مثلما هو الأمر بالنسبة للمبصر ، والتراكيب التى يمكن الحصول عليها من هذه النقاط الست ثلاثة وستون تركيباً .

على سبيل المثال ، فالنقطتان الموجودتان أعلى المستطيل تمثلان حرف سى "C"، بينما النقطتان العليا والسفلى الموجودتان على الجانب الأيسر يمثلان الحرف كيه "K"، وإذا أضفنا النقطة العليا الأخرى يتحول حرف الكيه إلى حرف إم "M". إنه لشىء مدهش أن يتم تركيب ست نقاط بطرق عديدة مختلفة ؛ للحصول على أشكال كثيرة ، سواء كانت حروفا أو علامات ترقيم أو إشارات أو أعدادا أو أحرفا موسيقية أو حركات صوتية فى اللغات الأجنبية.

لقد كان اختراع برايل فى روعة القصص الخيالية ، ست نقاط فقط ، ولكنه حول من خلالها الصفحة الفارغة إلى كائن حى ، ما أن يتحسسه الإنسان بيديه حتى يبدأ فى استشعار الكلمات التى تتلألأ وتشع نوراً فى ظلام المكفوفين ، ست نقاط فقط ،

ولكنه بعبقريته منح من خلالها المكفوفين أداة جبارة لنقل الأفكار ، من خلال تلك النقاط أوجد نظاما للكلمات صنع به رفقة تربط بين من يستطيع أن يرى ومن لا يستطيع ، تلك الكلمات كانت بالنسبة لنا فى بهاء قوس قزح فى السماوات ، كلمات مثل السفن المارقة ، التى حملتنا من وحدة الظلام وحدود الزمان والمكان وعناء الآلام.

وداعاً ، فمن بين الرجال الشجعان العالقين بالذاكرة والذين سيظل العالم يكرمهم ، سيبقى الامتنان الشديد للويس برايل ، ذلك الإنسان الذى كان نبراساً للأقدام المتعثرة فى طريق المعرفة والذكاء ، وأقرر بكل الامتنان بأننى مدينة للويس برايل ، فلقد كان النظام الذى ابتدعه وسيلة عظيمة أعانتنى فى أمور عديدة ؛ فعن طريقها استطعت الذهاب إلى الجامعة ، وكانت سبيلى الوحيدة لتدوين المحاضرات ، كما أن كل اختباراتى كانت مكتوبة لى بهذه الطريقة وكنت استخدم أسلوب برايل كما ينسج العنكبوت خيوطه ؛ كى أقبض على الأفكار التى تعصف بذهنى من أجل كتابة أحاديثى ورسائلى ومخطوطاتى.

لولا برايل لما امتلكت الشجاعة لأكتب كتابى الجديد ، ولا لأكتب قصة حياتى ، لقد استخدمتها فى كتابة ملخص لما أردت أن أقوله ، وبعد ذلك طبعت المخطوطة باستخدام الآلة الكاتبة ، وبدون أسلوب برايل لما تمكنت من الحفاظ على إنسيابية السياق وتماسكه.

لقد ولد لويس برايل فى أبريل من عام ١٨٠٩ فى كوب فارى بالقرب من باريس وكان والده يصنع معدات الخيل ، وفى أحد الأيام عندما كان الثالثة من عمره فكر فى أن يقلد أباه عندما رآه وهو يعمل ، ولكن لسوء حظه لم تكن مهارات ابن ثلاث السنوات تكفى للاضطلاع بالمهمة ، فانزلق المثقاب الحاد الذى كان يعمل به لأعلى ودخل فى إحدى عينيه وأفقدها الإبصار ، وتداعت العين الأخرى بالتورم ثم فقد البصر فى العين الأخرى ، ليصبح ضريرا بعد وقت قصير.

وعندما بلغ من العمر عشر سنوات ، التحق بالمعهد الوطنى للشباب المكفوفين فى باريس حيث تعلم أن يستخدم يديه بدلاً من عينيه ، وأظهر تفوقاً فى دراسته كما

أظهر براعة متميزة فى كل فروع العلم الأدبية والموسيقية والحسابية.

وعندما بلغ السابعة عشرة فى عام ١٨٢٦ عين لويس محاضراً فى المعهد الذى درس به ، حيث قام بتدريس القواعد اللغوية والجغرافيا والحساب والتاريخ والهندسة والجبر والموسيقى ، ولم يكن برايل فى تلك الفترة مجرد معلم بارع ، بل كان شخصاً محبوباً بين طلابه.

ولم يستفد برايل نفسه فى كونه محاضراً فقط ، ولكنه كتب دراسات عديدة ، وكانت إحداها فى مجال الحساب ، وكانت نموذجا فى الوضوح والدقة ، كما كان أسلوبه موجزاً فمثلاً كتب قائلاً : أسلوبنا فى الكتابة والطباعة يأخذ مساحة كبيرة فى الورقة ، وينبغى أن نستخدم أقل قدر ممكن من الكلمات للتعبير عن أفكارنا ولقد كان يمتلك قدرة موسيقية فائقة ، حتى أنه صار أحد عازفى الأورجون فى إحدى كنائس باريس عندما كان صبيا صغيراً ، ثم قام بأعمال شبيهة فى أماكن أخرى بعد ذلك.

ورغم انشغالاته واهتماماته المتعددة ، إلا أنه كان دائماً حفيًا بأصدقائه فلقد كان مستشاراً حكيماً وناصحاً أميناً وصديقاً كريماً ، وعندما كان الآخرون يتهربون من تأنيب شخص ما رغم ضرورة ذلك ، كان يقوم هو بذلك بدون تردد بأسلوب رقيق ، فلقد كان يحب أن تكون لصداقته قيمة عملية لأولئك الذين يحبون مصادقته ، ولم يدخر وقتاً ولا مالاً ولا جهداً فى سبيل مساعدة تلميذ أو صديق.

حدث يوماً أن أحد الطلاب كان على وشك مغادرة المعهد ، ولكنه لم يمتلك ما يعينه على توفير وسيلة ملائمة لتنقله ، فمنحه برايل فى الحال حصيلة إحدى الحفلات التى عزف فيها الأورجون ، ورغم موته بسبب مرض الدرن فى عام ١٨٥٢ إلا أن تأثيره عاش طويلاً فى نفوس أصدقائه، وفى قلوبهم .

ما بين عام ١٨٢٩ وعام ١٩٢٩ - تاريخ كتابة المقالة الحالية - رحلة طويلة خاضها المكفوفون فى سبيل القراءة ، ما بين محاولات عديدة غير ملائمة وصولاً إلى أسلوب برايل الذى أتاح للمكفوفين القدرة على قراءة الكتب المكتوبة.

وإذا أردنا أن نفهم أهمية العمل الذى قام به برايل فعلينا أن نعود إلى البداية لنأخذ فكرة موجزة عن تاريخ أنماط الكتابة المزخرفة التى يستخدمها المكفوفون ، إنه

تاريخ ملىء بالصعاب الشديدة ، وبالتجريب الدؤوب ، والفهم الخاطئ للعمى ، والمشكلات التى تنتج عنه.

فى بدء تعليم المكفوفين عام ١٧٨٩م كان النظام المستخدم لطباعة كتبهم يستخدم حروف الهجاء اللاتينية نفسها فى الشكل الخطى الرومانى ، ويعتبر فالنتين هوى أول من اهتم بتعليم المكفوفين ، بعدما اكتشف بالصدفة طريقة عمل الطباعة العادية ، فلقد لاحظ طباعة الأحرف ثم فكر فى تكبيرها ليتم لمسها بالأصابع وتحسسها ، ثم طباعتها بالشكل العكسى لتتم قراءتها من اليسار إلى اليمين ، واستخدم هذه الطريقة كتجربة أولية ، ولكنه لم يسأل عن أفضل شكل للأحرف يجده المكفوفون سهلاً للقراءة عن طريق الأصابع ، وكانت تلك أول غلطة يرتكبها.

وانتشر أسلوب هوى الذى تبنى فيه الحروف الرومانية ، فانتقل من باريس إلى بريطانيا العظمى وألمانيا والنمسا وأمريكا ، وأصبح الطريقة السائدة للوصول إلى المكفوفين ، ولكن كان الأمر محبطاً حينما تم اكتشاف أن ثلث إلى نصف المكفوفين بالمدارس لم يستطيعوا فك شفرة حروف هوى وكان العيب الرئيس هو استخدامه للأشكال المنتحية التى يجدها القارئ الكفيف صعبة جداً ، ولم يدرك هوى أنه كلما ازدادت ملامح الحرف البارز ، صعب على الكفيف فهمه ، ولم يفهم هوى أن الأصابع تلتقط الزوايا الحادة بشكل أسرع من الانحناءات ، كما لم يستوعب أن النقاط الموجودة فى أواخر الكلام يصعب فهمها بوضوح.

ثم شهدت فرنسا وإنجلترا ودول أخرى محاولات عديدة لتعديل خط حروف هوى بحثاً عن نمط أكثر فعالية ، ولكن لم تنجح أى منها ، وكان أكبر دليل على ذلك سرعة تركها بعد اختبارها، ولم يدم سوى نمط خطى واحد،وهو نمط الزوايا الذى ابتكره الإنجليزى وليم مون ، كان هذا النمط سائداً قبل ابتكار برايل ، وفيه يلمس القارئ الكفيف البالغ حروفا كبيرة جداً.

ولقد ظلت طريقة تدوين برايل لعدة سنوات مبهمة نسبياً حتى فى باريس العاصمة التى انطلقت منها ، وكان من الصعب استيعابها فى بلدان أخرى خاصة بريطانيا العظمى وأمريكا ، ولكن تدريجياً بدأ تقبلها وانتشارها خارج باريس وخارج

نطاق المدارس ، ولم يعترف بها كنمط معيارى لنمط كتابى للمكفوفين بداخل إنجلترا إلا فى عام ١٨٦٩ ، وحتى رغم الاعتراف بها كان الابتعاد عن الأنماط الأخرى يمضى بطيئا.

وأخذ أسلوب برايل ينمو تدريجيًا فى أمريكا ، وكان ينافسه بشراسة ثلاثة أساليب : الأول الخط الرومانى الذى ابتكره دكتور هاو مدير معهد بركنز للمكفوفين فى بوستن بغرض مساعدة التلاميذ المكفوفين ، لقد كان دكتور هاو يؤمن بأن الإعاقة يمكن التغلب عليها وسريعاً ما طبعت كتب المكفوفين بطريقته ، حتى أصبحت أكثر شيوعاً فى العالم ، واستخدمت طريقته كل مداراس المكفوفين فى شتى أنحاء الولايات المتحدة ، بشكل لم يتح لأية طريقة أخرى ، أما المنافس الثانى لأسلوب برايل كان أسلوب نقطة نيويورك الذى ظهر قبل عام ١٨٦٨م ، أما الأسلوب الثالث فكان تعديلا لأسلوب برايل نفسه وأطلق عليه أسلوب برايل الأمريكى.

وكان لكل أسلوب مؤيدوه ومنتقدوه ، وقد أدى ذلك إلى زيادة تكلفة الكتب والموسيقى المزخرفة ، حيث كان كل كتاب يطبع فى ثلاث طبعات مختلفة باستخدام ثلاثة أساليب مختلفة ، واستمر هذا الصراع بين الأنماط الثلاثة بداخل المدارس قرابة الخمسين عاماً ، حتى عام ١٩١٧م عندما تبنى الاتحاد الأمريكى للعمال المكفوفين فى أحد المؤتمرات الذى عقد فى بورتلاند الأسلوب الأوربى لبرايل كنمط معيارى للمكفوفين فى أمريكا ، وكانت تلك الخطوة نقلة عملاقة لفرض أسلوب برايل وليمضى قدماً.

وفى خضم كل ذلك تم إنشاء المؤسسة الأمريكية للمكفوفين فى عام ١٩٢١م كوكالة قومية تهتم بكل أساليب تعليم فاقدى البصر.

ولعب إم سى ميجيل رئيس المؤسسة والصديق الناشط لفاقدى البصر دوراً كبيراً فى البحث عن أفضل المطبوعات وتأكيد الانتصار الأخير الذى لاح لأسلوب برايل ولقد كان ميجيل يضع الخدمة أولاً وقبل النظرية أو الجدال.

وينبغى توجيه الشكر والامتنان لميجيل ؛ للدور الذى قام به لإسعاد المكفوفين وإمدادهم بما يحصل عليه المبصرون من معارف ، عبر طريقة سهلة للقراءة والكتابة،

طريقة تلائم كل الاستخدامات العملية المستخدمة فى الحياة والعمل ، ولهذا اتحد المكفوفون عبر استخدام طريقة واحدة للكتابة المزخرفة ، حتى لقد أصبح لزاماً الآن طبع الكتب باستخدام نمط واحد - أسلوب برايل - وطرحها لكل مكفوفى العالم.

إن المكفوفين هم ربما أكثر فئة من فئات المعاقين التى يصعب مساعدتها ، فالعمى يصعب كل مشكلة فى الحياة ، ويجعلهم معتمدين على الآخرين ، ويقلل من فرص العمل المتاحة لهم ، ويستلزم استخدام معدات خاصة تراعى حاجاتهم ، وعلينا أن ندرك أن طباعة الكتب للمكفوفين أمر مكلف ، ولكن الأمر لا يقف عند هذا الحد ، فمن يقم بإنتاج أجهزة للمكفوفين لا يتربح كثيراً من هذه المهنة ؛ وبالتالى ينصرف عنها المهرة من التقنيين ، ولكن لا يوجد أدنى شك من أن تخصيص وقت أكبر وأموال أكثر قليلاً للعناية بهذه المشكلات ؛ سيؤدى إلى حلها قريباً.

حتى عام ١٩٢٣م كانت كل الكتب المكتوبة بحروف بارزة فى هذا البلد مطبوعة على جانب واحد من الورقة ، رغم استخدام أوروبا للجانبين فى الطباعة لعدة سنوات قبل ذلك التاريخ ولقد حرصت المؤسسة الأمريكية للمكفوفين على دراسة طباعة الجانبين ، وزادت على ذلك فى عام ١٩٢٧م بتأسيس ما يمكن اعتباره معملاً لإنتاج آلات كاتبة تستخدم أسلوب برايل فى طباعة الكتب المزخرفة ، تتسم برخص التكلفة وببساطة الاستخدام ، ونتج عن تلك التجارب المعملية نواتج مشجعة ، فلقد قل سعر الكتب المكتوبة بأسلوب برايل وانخفض حجم الأعداد المنشودة بحوالى ٤٠ ٪ ، رغم أن الأجهزة الحالية لا تزال فى حاجة إلى تحسين.

حقيقة تعتبر الكتب بالنسبة لى ولأعداد أخرى هائلة من فاقدى البصر قناديل منيرة ، فهى تخرجنا من العزلة المريرة التى يسببها فقدان البصر ، وهى بكلمات من نور تنقلنا من الركن الضيق المظلم ، إلى حياة البشرية الملونة والنابضة بالإبداع ، إنها ترفع ستائر الليل عن أماكنها فتكشف لنا عن بهاء الفجر ، والسماوات المرصعة بالنجوم ، والبحار الواسعة ، والغابات الكثيفة.

وحينما تقرأ ما سطر بالحبر ، عليك أن تتوقف للحظات لتنتبه للتفاوت الكبير بين مصادر القراءة المتاحة لك ، وتلك المتاحة للكفيف ، فالمكتبة العامة بنيويورك

يوجد بها أكثر من مليونى كتاب للمبصرين وحوالى ١٢٥٠ كتاب فقط بأسلوب برايل المعيارى والعديد من كتـــب برايل كتبها أفراد ، ومتاحة فى نسخة واحدة فقط.

وإنى أتساءل : هل سيأتى اليوم الذى تتاح فيه للمكفوفين كميات كبيرة من الكتب المتنوعة والشيقة والتعليمية تلائم كل الأذواق والقدرات ؟ وهذه فرصة متاحة للرجال والنساء المحبين للخدمة العامة ليعملوا على توفير مثل تلك المنح والهبات للمكفوفين ، وسيكون أمراً عظيماً إذا قدم لنا شخص ما جريدة أسبوعية مكتوبة بأسلوب برايل وما أروع النصب التذكارية التى سنشيدها لبرايل حينئذ !!

هذا هو أحد أكثر أحلامى إلحاحاً ، وبالقطع سيكون أمراً جميلاً أن يتم إصدار عدد أسبوعى مكتوب بطريقة برايل بجريدة لندن ديلى ميل وكذلك بجريدة أوساكا مينيتشى فى إنجلترا واليابان على التوالى.

وتبلغ أهمية اختراع برايل ذروتها فى إنشاء دار نشر برايل الأمريكية فى فرنسا وهى مؤسسة أمريكية ظل مكانها لأسباب اقتصادية فى باريس فى مقرها ٧٤ شـــارع لوريستون بالقرب من قوس النصر، إنها مكان منمق وحديث ، ثلثا من يعملون به من فاقدى البصر ، وباستخدام آلة تسمى إيديفون يمكن لشخص واحد مبصر أن يقوم بإملاء سبعة أو ثمانية عمال مكفوفين.

ويوجد بها أيضاً طابعة دوارة جديدة هى الأولى من نوعها ، حيث توضع الأوراق فى بكرات وتسحب آلياً وتخرج فى كل لفة ١٢٠٠ صفحة مطبوعة باستخدام أسلوب برايل فى الساعة الواحدة ، وتعتبر دار النشر هذه خطوة كبيرة فى سبيل تمكين المكفوفين من إصدار عدد كبير من الكتب المزخرفة بشكل لم يحدث من قبل.

إن الخدمات التى تقدمها دار نشر برايل الأمريكية لا تقدم لمكفوفى هذا البلد فقط ، ولكنها تخدم كل كفيف فى أنحاء المعمورة ، وعلى الرغم من أن تأسيسها كان منذ ثمانى سنوات فقط ، إلا أنها نشرت فى هذا الوقت القليل آلاف الكتب الممتازة ، وأعدادا كثيرة من الدوريات التى تحتوى على مقالات شيقة نشرت من قبل فى مجلات رائدة تصدر بالانجليزية والفرنسية والإيطالية والبولندية والصربية ، وعبر

هذه الدار تم إرسال أدبيات للمكفوفين فى كل من الجزائر وفلسطين ونيوزيلندا وجنوب أفريقيا.

ومن إصدارات دار نشر برايل الأمريكية إضافة للكتب - المعاجم المنقحة ، وكتب تدريس التجارة والكتب المدرسية - وسبعمائة ألف صفحة للموسيقى الكلاسيكية والشعبية وتعتبر تلك الوكالة بالنسبة للمثقفين من المكفوفين فى جميع أنحاء العالم بمثابة رمز ثمين للتقدم.

ومن أهم قصص التعاطف البشرى تلك الحماسة التى يعمل بها مئات الأشخاص من أجل إتقان أسلوب برايل ثم العمل لساعات طويلة على حساب وقت فراغهم من أجل ترجمة الكتب لفاقدى البصر، لا أستطيع أن أذكر من هؤلاء إلا القليل، ولكنى أحب أن أشير بكل الحب للجماعة الوطنية لهيئة الهلال الأحمر الأمريكية ، والناسخون البريطانيون فى هيئة برايل ، وجيش المتطوعين من الكتبة فى فرنسا.

ولا بد أن أذكر أن الكتاب المكتوب بأسلوب برايل هو أضخم كثيراً من الكتاب المطبوع بالطريقة العادية والذى تطبعه دار النشر فى دقائق قليلة ، نسختى من كتاب الميكروبات المهاجمة يحتوى على أحد عشر جزءا ، ومن كتاب الحياة والخطابات لجوزيف كونراد يحتوى على أربعة عشرة جزءاً .

أى صبر امتلكه أصدقاء المكفوفين ؛ كى يقضوا ساعات طويلة لإخراج كميات لا عدد لها من الصفحات ، دون الحصول على أية مكافأة ، اللهم إلا إيمانهم بأنهم ينيرون الطريق قليلاً للمكفوفين ، إنها معجزة حقًا أن نرى كل هذه الأفكار الجانبية تكرس لنا فى الوقت الحالى ، وأن نرى كل هذه الأيدى الأمينة تشغل أنفسها من أجل منح أنفسنا الجائعة خبزاً مصنوعاً من الكتب.

إن معجزة برايل التى توظف أحرف تتكون من نقاط أعطت أعينا للمكفوفين وأعتقتهم من اليأس ، وربطت أرواحهم بأرواح البشرية فى انسجام معسول ، إن هؤلاء الذين عاشوا حزانى لأيام طويلة من الفراغ ، ينظرون الآن بنشوة إلى الكون لأنهم يقرأون بأعين أصابعهم ، من مقبرة الحاسة المفقودة خرجوا لإشراقة الصباح ونشوة الفكر.

ما أجمل متعة القدرة على التفكير ، وما أعظم قوة التعبير عن الذات ، وما أمتع نسيان الحزن فى معية ثقة المحبين ، وما أروع السير فوق الأماكن العالية بروح لا تقيدها الأغلال ، وما ألذ طعم الاعتماد على النفس الذى يجلبه قراءة كتاب أو مقال كتب بأسلوب برايل .

نعم إن فى استطاعة المكفوفين الآن أن يعملوا ، ويدرسوا ، وبإمكانهم الغناء ، ويمكنهم أن يضيفوا مسحة من الخير والسعادة للحياة ، إنه لويس برايل ذلك الأسير المقيد بالأغلال القاسية ، التى حملها مثلما يحملها غيره من المكفوفين ، إنه هو الذى أوجد المفتاح الذهبى ، وفتح به أبواب سجنهم المحتوم .

نماذج من الأعمال الشعرية

في حديقة المولي In the Garden of the Lord

المصدر : غير محدد

جاءتنى كلمات الله

كنت جالسة

وحدى فى العراء

وداعبت عينى المكفوفتين

ومضة الأضواء

و تجلت على الشفاة

وهجة من سناه

فتبسمت هامسة

ما أحلى الحياة

فإن كنت أحث الخطا

فى طريق الصمت

إلا أننى

بإرادتى

سرت بعيداً عن الجموع

قاصدة جنتى

وكلما سرت

قطفت يداى

من الفواكه والزهور

وبقلب يفيض بالحنان

دعوت بالرحمة للشمس

التى تتوهج

وتملأ المكان

وجريت مع الرياح اللعوب

التى تنثر العبير

عبير الورود والياسمين

فى دواماتها

التى لا تستكين

وأخيراً وصلت

حيث ينمو الزنبق ويطول

مولياً وجهه الأبيض

صوب السماء

كما لو كان وجه قديس

وبينما استغرق الزنبق فى الصلاة

جثوت فى خشوع

هائمة

فى ملكوت الإله .

أنشـــــودة الظلام

المصدر : مجلة القرن عدد مايو ١٩٠٨

لا أتجاسر أن أسأل
كيف حرمنا ذاك النور
ومن أودعنا جزر الوحدة
وسط بحار اللامحدود
لا أسأل كيف تزودنا
ببصيرتنا الهائلة العظمى
ماإن تأفل أو تتلاشى
إلا صرنا
أسرى الحيرة
أسرى الوحده
من غير رفيق إلا الظلمة
حيث يحيط مصائرنا
سر لا أدرى كنهه
من أسرار الله الأعظم
سر لا أجرؤ أن أسأل ربى
إبان صلاتى
أن يكشف سره
لكنى أؤمن فى أعماقى
أن القوة
ونور الحكمة
ينضويان بهذا السر

لكن مشيئة ربى
شاءت فأحاطت دربى
بستائر مظلمة سوداء
قد صرنا أسرى لظلام
يضرب أغوار المجهول
لا نسبر غوره
بالعقل البشرى المحدود
وقريبا جدا سوف نعود
لظلام أحلك
ظلام أبكم
ليس يجيب
****
يا أيها الظلام
الحالك الرهيب
كم أنت كئيب
كم أنت جميل ومقدس
فى وهادك المهيبة
بعيداً بعيدا
عن أعين البشر
أبدع الإله
الكون الفسيح
أرسى الأرض الرءوم
وأطلق الزمان
لوقت مؤقت

وموعد معلوم
وأغلقت البحار
أبواب قدرته
حتى لا تثور
بنا جامحة
وغطاها بسحب
له مسبحة
وأمر الصباح
فكان الصباح
وأطلت شمسنا
بوجهها الودود
فأضاءت الوجود
ففرت هاربة
فلول اللاوجود
وأرسل المياة
تفيض بالحياة
وأرسل المطر
إلى الأرض البوار
والبيد والجزر
قبل أن يكون
أحد من البشر
أرسلها للصحارى
فكانت البرارى
واخضرت التلال

وازدانت الروابى
بأثواب الجمال
****
يا أيها الظلام
كم فيك من أسرار
كم فيك من غموض
فى صمتك المريع
دوما يأتى ربيع
مزدهر وديع
لا يدركه البشر
يا أيها الظلام
الله فى علاه
خالق الإنسان
وواهبه الحياة
سواه من مشاعر
تحن إلى الظلام
إذا ألقى المساء
ظلاله السوداء
تبلغ الرسالة
إلى بنى الإنسان
وبهدوئك الحنون
تمسح العيون
فتنسدل الجفون
وروحنا

تفيئ

تواقة مشتاقه

لحضنك الدفىء

****

يا أيها الظلام

يا أيهاالحكيم

يا رائع الذكاء

فيك غموض

إذ تخفى فى ثيابك

أطياف الضياء

هو إكسير الحياة

والروح للأحياء

على شواطئك

السود الموحشة

أتابع المسير

وحدى بلا وجل

لم ترهبنى المخاوف

مع أننى أهيم

بأودية الظلام

أبدا لن أنتشى

برعشة الفزع

حين تقودنى

يد الموت الرحيم

مجتازة أبواب

حياتنا الفسيحة
إلى حيث النعيم
ساعتها يزول
الليل البهيم
وثيابه السوداء
ويغمرنا النهار
بنوره الوضاء
****
وكل من يخاف
رعديد جبان
سينأى بروحه
بعيدا بعيدا
عن غيهب الظلام
لكنه فى الظل
يشعر بارتياح
بأنفاس الرياح
ترف فى هدوء
بجناحى ملاك
تلامس وجنته
ويغمره ضياء
شقه لهيب
لا تراه العين
ومضات ساحرة
تنطلق من الظلام

ماضية طليقة
فى مضمار الجمال
تمر عابرة
عوالم الظلام
لتدخل فى حبور
عالما للنور
حيث لا تكون
أقدار الحواس
سببا لطرد الناس
من جنات النعيم
****
يا أيها الظلام
الهادئ الجميل
إنك المبارك
من الله الجليل
فى منفاك البعيد
الذى تعمره
ورغم أنه
عائق كئود
وليس بالودود
فإنك لم تصده
ودوما لا تبالى
بل تهمس فى الليالى
فتبيت حالمة

بسرك العظيم
يا أيها الظلام
وهادك مثل روحك
رحبة طليقة
تأتى على الأشياء
تضفى لها البهاء
حتى الشئ الصغير
بجناحك المهيب
وتستر كل شىء
حتى الشئ الحقير
وفى قوادمك
وحضنك الحنون
يرقد السلام
يا أيها الظلام
قد سرت مرة
بأرض خالية
فتعثرت قدماى
بظلام الهاوية
وأمسك الخوف يدى
كى يقودنى
وتسمرت قدماى
خشية السقوط
بشراك مريعة
ورعبا من مخاوف

تملأ الدروب
ويدى ضارعه
لإيقاظ الصباح
وأتانى الحب يسعى
يحمل المصباح
ينير فى وضوح
لقدمى الطريق
وقال فى حنان
ومنطق حكيم :
ياأنت ،
أولم تلتحقى
بكنوز الظلمه ؟!!
هل تبغين الهروب
من نعمة المكتوب ؟!
آه !!!!!
ما أجمل همسات الحب !!!
لامست روحى
فانتشت وتوهجت
وبدأت النهوض
أستجلى الغموض
بأناملى الحساسة
أفتش فى حماسة
عن جذوة السنا
فى الأعماق المقدسة

أتلمس الأشياء والفراغ
وأدركت بإحساس الروح
أن حياتنا
رائعة ثرية
فانفتحت على المصراع
أبواب النهار
****
والآن كم أهتز
من فرط السعاده
وترتعش أطرافى طربا
ويشارك قلبى كوننا
أنشودة الفرح
فى العالم الفسيح
تصبح للحياة
نشوة ومتعة
أزاحت المعارف
أستار السماء
وفى البعد القصى
لبحار الظلام
تتلألأ الأضواء
منتصف الليل الحالك
قد أرسل ألف إشاره
الكفيفة التى تعثرت فى الظلام
ترى الآتى من الأيام

وفى قلب الغموض
ستومض نجمة للفكر
ويصبح الخيال
عينا مستنيرة
ويصبح للعقول
رؤى مستنيره
ودعونى أضيف
وما الحياة للكفيف ؟!!
كتاب منغلق
أمام وجه لا يرى
أيمكن أن يذوق
نشوة الفرح
إذا ما رأى
للحظة فريدة
نجمة جميلة
تشع فى الأفق
الروح فى الحقيقة
ينبوع الرؤى
ارقبها فى الأعالى
إذا تحررت
إذا ما حطمت
القيد والأغلال
ألا ترى بها
توهج الأفكار

تلوح بوجه طفل
صغير كفيف
أفلا ترى بها
عقله الذكى
إذا ما نما
رويداً رويداً
مثل الفجر العجول
يبتغى سريعا
رؤية الخلاق
إنها لمعجزه
الرؤية معجزه
حين تكون
من داخلنا
لا من خارج
فى عالم العجائب
حيث أقيم
أكتشف الحياة بيدى
بهما أفهم وأعى
أصابعى دوما
دوما ظامئه
لتراب أرضنا
كى أستجلى
كى أتعلم
وقدماى تحيا

على دبيب الأرض
وعلى كل شيء يتحرك
فهذى لمسة
وهذى وخزة
وهذا صفاء
وذاك لهيب
هذى دفقة دم
من فرط النشوة
وهذا ضوء نهار
أستشعره بمخيلتى
وهذى لمسة
تشع حنانا
أستشعرها
بأصابع ولهى
ذلك عشق محب أعمى
إذ يسعى
كى يفهم
ما معنى اللمسة
التى بها
ينفتح أمامها
كتاب الحياة
****
ضوضاء الأرض
بالنسبة لى

ضوضاء الصمت
تأتينى بحفيف ناعم
وتأتينى من وقع أقدام الحياة
حيية محببة
وعبر خفقات حريرية
تحاكى أجنحة فراشة
تتلقاها راحتاى
كما تتلقى ومضات
أجنحة الحشرات الأخرى
وتأتى قطرات مياه فضية
مع نسمات الصيف العطرة
مع صلوات العشب النابت
مع موسيقى رقص الريح
تعدو مارقة تزأر
فوق الأوراق
مع بللورات ورذاذ
للأمطار الصيفية
إذ تأتى حاملة
عبق زهور المرج
أنصت بأصابع مشتاقة
لصوت هطول الأمطار
ولعزف الريح
إن هبت فى الأحراش
وأستحم تحت أشجار الأناناس

من القطرات التى خلفها المطر
صديقى اللعوب
سنجابى الصغير
يربت على كتفى بذيله الناعم
قافزا بخفه من مكان إلى مكان
وأخيرا يعود
ليأكل من يدى
طعامه وفطوره
بيننا مودة ..
بيننا سريره
يتواثب قلبى مرحا
فيراقص قلبى فى خفقانة
فتزيد البهجة
ما أمتع الحياة !!
ألم تشق أصابعى سطح الرمال ؟
على شاطئ فسيح
داعبته الشمس بدفئها
ألم يشعر جسدى بغناء الماء
على نغمات تعزفها
أمواج البحر ؟
ألم أستشعر خطر الموج الهادر
تحت القارب ؟
ألم أستشعر عصف القلع ورج الصارى ؟
وعنف الرياح

من هديرها

ووميض برقها

ألم أشم عبير قرب العاصفة ؟

وهو يهدر بجناحيه فى ضربات خاطفه

هنا تصحو المتعة وتتوهج

هنا تشتعل فتنة القلب وتتأجج

يداى تدركان الصوت والمشهد والمشاعر

بحواس خفيه

تربط المشهد دوما بالحركات

وتربط عبير العطر بالأصوات

وتلون خطرات النسيم

وتستثير العواطف والجوى

من موسيقى

رفات أجنحة

خفية لاترى

****

من غموض الأرض والشمس والأنواء

تعلمت أصابعى حكمة الحكماء

يستشفون النور من بيادر الظلماء

فإذا به نغم

يصاعد حالما

فى دنيا السكون

سأتابع المسير

فى ظلام حالك

وستعبر روحى دوما عن سعادتها

أيها الليل السرمدى

أعلنها لكل الكون أنى أحبك

أيها الليل الرحيب

أيها الليل البهى الوفى

أتلمسك بيدى

وأتكئ على قواك

وأعيش على سلواك

أيها الليل اللبيب الحبيب

أنت شفاء روحى المتعبة

هأنذا

أستلقى قريرة

فى أحضانك الدافئة

أنت لى أم حنون

أرقد فى حضنها

كحمامة

تغفو

وتحلم

هانئة

أغنية حائط الحجر The Song of the Stone wall

المصدر : غير محدد

(كما ورد فى الصفحة الخاصة بالجمعية الأمريكية للمكفوفين فى الشبكة الدولية للمعلومات)

تعالَوْا ، نسِرْ معاً
فإننى سأبوحْ
بما قرأتُهُ
فى
بردية الحجرْ
سأتهجى لكمْ
ما خُط على الربَا
والصخر والشجرْ
هذه سقوفْ
فى إنجلترا الجديدهْ
طبقاتها عديدهْ
شِيدت على عُمُدْ
صخرية عتيدهْ
مختومة بشعارْ
لتاريخ قديمْ
مازال فى انتظارْ
من يفسرهْ
وزخارف التاريخْ
من صنع المؤمنينْ
من أسلافنا

إن لدى الحوائطْ
أشياءً كثيرهْ
ستخبرنا بها
ما أطولَ الأيامْ
التى قضيتها
كى آتى هنا
لأسمعَ فى انبهارْ
أسرارَ الجدارْ
هذى يدى فوق الحجارهْ
وسأستمع بكل الإحساسْ
للقصة التىَ تحكى عن الناسْ
وعن الإله الذى خلق الحجارة والناسْ
وبأقدام منقبهْ
وخطواتٍ قصارْ
مشيت بجوار الجدارْ
لقد غاصت قدمى متعثرهْ
فوق الحجارة المتحدرهْ
وتابعت تعرجات الحائط فوق الربوة العليا
وأسفلها يسيرْ
داخلَ المرجِ غديرْ
يداعب الحقولَ المعطرهْ
بعطر الأملْ
عند المستنقعْ
حيث تنمو حشائشُ الأسلْ

تابعت المسير مجهدهْ
بين حطام أخشاب الصنوبرْ
تلفحنى البرودهْ
حتى توسطتُ البركْ
وسط الأفدنة الممتدهْ
على مدى البصرْ
التى يحوزها سيدُ الغجرْ.
الحائطُ مشيدٌ
بحجارةٍ متباينهْ
يشكلها الجليدْ
وتصقلها الرياحْ
والشمسُ والمطرْ
منها المسطحْ
ومنها المقوسْ
ومنها ما نحتته
معاولُ الرياحْ
بأيديها الخفيهْ
ومنها ما تشققتْ
واحتددتْ أطرافُها
وصارت
مؤذيةً جارحهْ
الزمن البديعْ
كسا الحائطَ القديمْ
ونمق الحجارةَ العتيقهْ

بأرفف خضراءْ
وتضاءلت أشعةُ الشمسِ وانحصرتْ داخلَ الشقوقْ
وزالت لتعودَ من جديدْ
وتباطأت حتى نامت وغزت بأشعتها القرنفلية الزوايا البعيدة
وفصلت بين الشقوق الظاهرة والنتوءات التى بيضتها الرياح.
إنى أدرك الانتصار
والحقيقة التى زخرفت تلك الحوائط بسجاد حجرى
إنها معجزة أنجزتها أياد صابرة
إنها انتصار للمعاناة ، وصلاة الشكر يؤديها الألم
إن كل آلام الاحتضار وصراخ الميلاد كامنة
فى سكون الحجارة المكسوة بالطحالب.
وإنى أستشعر فصاحتها بيدى
يا لجمال الحجارة الكفيفة البكماء والصماء
فى صميم أعماق ظلمتها هناك ومضة تضيئها الشمس الأزلية
عندما نظرت إليها عندما تمت ولادتها
مثلما تسطع فى قلب الإنسان شمس الله الأبدية
والحجارة الفظة لا تستجيب
ولكنها تخفى بداخلها أنغاما علوية
وإنى لأسمع أنشودتها الحبيسة.
نحن شظايا الكون ورقائق الصخور
التى أودعها الله فى العالم
خلقنا من عدم منذ القدم
مخاض الأرض يوجدنا
وتنمينا شمس وعاصفة

نحن مزيج سحرى من الحياة والموت.
لنا صور عديدة
مستورة دقيقة
نحن نختال بقوتنا
نحفر الأنفاق والسرداب
ونرفع ربا الجرانيت
إلى مشارف السحاب
ونزرع البحار الإستوائية بجزائر المرجان
نحن نمرق عبر الألوان الخفية
آلاف الألوان تمتزج بداخل جوهرنا الرمادى
زفير وفيروز
وياقوت وأوبال
زمرد وألماس
أخوات لنا منذ القدم
وإخواننا الحديد والرصاص
والزنك والنحاس
والفضة والذهب
نحن تراب الأرض
ما قر منه وما غبر
نحن إطار الخلد
تنحته تصاريف القدر
وفى أعماقنا
أغنى سجل
يحكى المسيرة للبشر.

تعليق عابر

تعليقات عابرة

إذا أردنا التعليق على تلك الأعمال الفريدة بشكل عام : فينبغى أن نشير أول ما نشير إلى الدور بالغ الأهمية الذى قامت به «**آن سوليفان**» معلمة «**هيلين**» التى علمتها الإنسانية إلى جانب العلوم الدنيوية ، فلا قيمة للعلوم جميعها دون تعلم علوم الحياة الإنســـانية، ولقد كانت «**آن سوليفان**» وسيلة أعدها الله سبحانه وتعالى لتعديل مسار «هيلين» من كائن بلا حواس تقريبا إلى إنسان مبدع يستثمر سعة العقل التى أمده الله به ولم تكن «**هيلين**» لتنجح فى تعديل المسار دون وجود معلم مثل آن فلا نجاح فى التربية دون وجود معلم يؤمن برسالته ، ومتعلم يعمل بجد من أجل غايته ، وخبراء ينظمون التفاعل (المناهج) ونتوقف هنا قليلا لنتعرف على شخصية «**آن سوليفان**» .

سيذكر التاريخ « **آنى سوليفان** » بكل الذكريات الطيبة ، لقاء الخدمات التى تجل عن الوصف ، التى قدمتها «**لهيلين كيلر**» وأسرتها.

ويمكن لنا هنا أن نقرر أنه لا عجب فى أن وحدة آن فى طفولتها وعزلتها ، ومن ثم فقدان بصرها جعلها أكثر من يقدر ظروف «**هيلين**» ويصبر عليها ويسعد معها وبها. ولا أظن أنها كانت تحب «**هيلين**» كل هذا الحب من مجرد دافع الشفقة ولكن الثابت أنها كانت تعشق مهنتها وتخلص فى أداء مهامها وتؤمن بمبادئها وتعاليمها.

ولعلنا نسأل كل من يعمل فى مجال التربية بصورة مباشرة أو غير مباشرة : كم منا على استعداد أن يقضى عمره كله فى سبيل تعليم فرد واحد وإسعاده ؟ كم منا على استعداد أن يفقد بصره لخدمة إنسان لا تربطه به أية صلة قرابة ؟ كم «آن سوليفان» يتم إعدادها فى كليات التربية ؟ هل تذوق أحدنا حلاوة الانصهار والاحتراق والذوبان من أجل تربية فتاة صغيرة ثم امرأة ناضجة فاقدة لحواسها ، ولم تكن تعلم أنها ستكون يوماً «**هيلين**» كيلر المعجزة البشرية ، بل إن «**آن سوليفان**» شريكة «**هيلين كيلر**» فى تلك المعجزة ، وعندما كانت تعلمها كانت تعلم إنسانا عاديا، ولكن إخلاص كلتيهما فى العمل (التعليم والتعلم) فاق كل ما جال بخاطرهما.

إن «**آن سوليفان**» لم تشعر يوماً بالغيرة من «هيلين» كيلر لأنها استحوذت على

كل الاهتمام وخطفت العقول وسنت كل القلوب ، والتاريخ لن يهضم حق «**آن سوليفان**» في أن تجنى مكاسب تجارتها التى لم تكن أبداً خاسرة ، فلقد أعطت مثالاً حيا ونموذجا رفيعا لكل من يربى ويعلم ابنه أو تلميذه أو عاملا عنده ، وسيقول لها التاريخ دوماً : أحبك يا آن بقدر ما أحببت شريكتك.

إن «**آن سوليفان**» صبرت وثابرت من أجل فتاة صغيرة مسكينة ، لم تكن تتعرف على ماحولها إلا بإحساسها بدبيب الأرض ، أو بيد تجرها وأخرى تدفعها ، وكف يضمها وآخر يصفعها ، وعلينا أن نسأل أنفسنا كم من معلم على شاكلة «آن سوليفان» في مدارسنا الآن ، وإن تواجد من يقترب من خصالها فأين من يرصد الناجحين من المعلمين ويمنحه التقديرالأدبى اللائق .

وإذا انتقلنا إلى أعمال «**هيلين**» وتأملنا أسلوبها فى الكتابة، نجد أنها تستخدم أسلوبا رصين السبك ، بديع الوصف ، كما تستخدم صورا بلاغية ومحسنات بديعية ، محركها الأساسى يفترض أن يكون حاسة البصر المعدومة لديها أصلاً. فهل ورثنا عن أبينا آدم الاستعداد لتصور الجمال الذى تنعم به فى الجنة ؟ هل يمكن تذوق الجمال دون رؤيته ؟ نزعم ذلك ؛ فالجمال والإحساس به مركب فطرى فى كل البشر. لقد خلق الله الإنسان محباً للجمال بالفطرة حتى وإن لم تر عيناه هذا الجمال ، وهذا يقودنا إلى أن ندرك أن الجمال إحساس داخلى ، وأن النعيم ما استمتع به العقل ، وهذا يؤكد أن الروح هى من يحب ويكره ، من دون العينين.

ولقد اهتمت «**هيلين**» فى أعمالها بتوضيح أهمية القراءة ، ولا عجب فهى أعلم البشر بقيمة القراءة الذكية للإنسان ، لقد جعلت منها إنسانا كاملاً رغم عدم اكتمال حواسها الفسيولوجية ولكنها أتمت حواسها العقلية والروحية ، إن هذه المرأة فقدت حاسة القراءة الأولى فاستعاضت عنها بحواس القراءة الثانوية وذلك بتوظيف الحواس الأخرى التعويضية ، ولكنها لم تتوقف عند ذلك بل امتد بها الأمر إلى القراءة الذكية التى تأتى فى أعلى مراتب القراءة ، فكم من قارئ لم يفهم مما قرأ إلا سطوراً أو مفردات. والأعجب من هذا وذاك أنها تدعو الآخرين إلى تذوق المقروء والاستمتاع بالقراءة.

ومن الواضح فى أعمالها أيضا أنها تهتم بالفراغ والمساحات الخالية عند الوصف فحياتها كلها كانت فراغات ومساحات خالية ، واستطاعت أن تستثمر الوقت الذى كان يساوى عندها الفراغ ، وتمكنت من شغله وإثرائه بأعمال الآخرين. ولقد أثرت خبرتها الذاتية فى كل موضوع اختارت أن تكتب عنه ، ومن المخجل أن من يبصرون ويسمعون لا يحترمون رؤيتهم لعقارب الساعة وسماعهم دقاتها ، فى حين أن «هيلين» تحترم الوقت وتحث الأسوياء على احترامه ، كما نلاحظ أن السكون والفراغ منحاها بيئة صحية للتأمل ، وهكذا حال العباقرة ؛ يستفيدون من كل صالح وطالح ، ولا تثبط هممهم جبال العوائق ، وإن ضخم حجمها لارتقوا فوقها ؛ فيتساموا ويعلوا شأنهم ، وإن طال أمدها لتريضوا بها فتصح أنفسهم وأبدانهم.

ونحن نتساءل ألا يستحق العالم أن يستمع الآن لما تقوله «هيلين» ، إنها تركز على قيمة الخير فى معرض حديثها عن الإيمان وكأنما أرادت أن تقول : إن كل العقائد والديانات تنبع من فيض الرحمن لينهل منها البشر خيراً ، لقد آمنت «هيلين» بحب الخير وأرادت أن تعلن فى أعمالها عن امتنانها لكل من علمها الخير وعاملها به، فلقد حرمها الله من نعمة البصر والسمع ولكن رحمته التى وسعت كل شئ ظللتها ؛ فأحاط بها أناس يعرفون معنى الخير ولا ينتظرون من ورائه جزاء ولا شكوراً.

ولم تكن «هيلين» أبداً تعيش بمعزل عن البيئة التى تحيا بها ، ففى ذلك الوقت كانت الثورة الصناعية قد قضت أو شوهت جوانب من الجمال الطبيعى ، فحلت الميكنة مكان اليد الإنسانية ؛ مما أصبح يهدد آنذاك بشرية الإنسان ، واستثار ذلك الواقع الجديد الوجد الملتهب عند «هيلين» ؛ فكتبت داعية بنى الإنسان إلى الاستمتاع بكل ما هو جميل ؛ وذلك لتهذيب النفس والعمل على رقيها فى مواجهة كل ما يستحدث من تقنيات ، وكتاباتها فى هذا الشأن تنطبق على كل العصور؛ فنحن الآن أمام هجمة من مخلفات المصانع وضجيج القطارات والسيارات ، وعبثية التلوث التى تنشر القبح وتشوه الجمال، ولكن الطبيعة التفاؤلية دفعت «هيلين» أن تكتب للأجيال المتعاقبة – بما فيهم نحن ومن يتبعنا – حتى لا يركنوا إلى قبول الأمر الواقع ؛ ألا وهو تشويه الجمال وتزييفه ، بل هى تحثنا أن نبحث عن الجمال فى كل وقت ومكان ؛ ونعمل على إظهاره وإن خفى وتوارى ، وتنسيقه إن بعثر ، وإعادة بنائه إن دمر ،

وذلك حتى لا يفقد الإنسان أحد أهم ما يميزه بين المخلوقات الأرضية كافة ألا وهو الإحساس بالجمال.

ولقد أتت كثير من أعمالها انعكاسا لقوة إرادتها ورغبتها فى اكتشاف نفسها ومعرفة الحياة ، فلقد كان عقلها يعمل فى اللاحياة ، وقادتها إدارتها الفذة إلى اكتشاف كل الحياة بلا عيون أو آذان ؛ فأشارت إلى تجربتها الشخصية فى لمحة سريعة ربما تقول للقارئ هل هناك إرادة أو رغبة فى اكتشاف الذات أعظم من ذلك ؟ هل هناك غموض أكثر مما كنت أعيش فيه ؟ حقيقة إن كل من يشعر بكدر الحياة وضيقها عليه أن يراجع قصة حياة «**هيلين**» تارة تلو الأخرى حتى يعرف معنى الإرادة ، وحتى يفهم مدلول تفضيل الله وتكريمه لبنى آدم.

وعند التأمل فى كتاباتها نسأل أنفسنا : هل تتحدث «**هيلين**» عن زمنها أم الزمن الذى نعيش فيه ؟ فكتاباتها تشعرنا الآن وكأنها تعيش بين ظهرانينا ، ومن المؤكد أنها تأثرت بقراءة الأدب لأشهر الأدباء ؛ ولهذا دلالة مفادها أن القراءة حقاً تصنع المعجزات، وهناك فضل كبير لمعلمتها «**آن سوليفان**» فى إطلاعها على هذه الأعمال الأدبية ؛ مما جعلها تكتب مثل تلك الأعمال التى تحتوى على العديد من الصور الجمالية والبلاغية ، فهى تارة تتحدث عن الحجر ، وتارة أخرى تطلق العنان للحجر ليحكى ما يريد ، ويروى ما يجيش بخاطره.

وإذا كانت مجهودات «**آن سوليفان**» قد قادت «**هيلين**» إلى كل هذا الإبداع البشرى دونما أجر تدفعه «**هيلين**» بل دفعته «آن سوليفان» المدرس الخصوصى لها ، وكم كان هذا الأجر فادحا !! فلقد تمثل فى فقدانها البصر ؛ ألا يستحى المدرسون الخصوصيون فى أوائنا؟؟

وألا يستحى بعض من شباب اليوم الأصحاء عندما يتعلمون من أعمال «هيلين» كيف يكون الطموح ؟

هلا تبصر المبصرون فى سعى تلك المرأة الكفيفة الصماء إلى البحث عن عمل شريف تستغل فيه إمكانياتها واستعداداتها ، حتى وإن تمثل ذلك فى امتهان مهنة عمل المساج للأخريات ، وربما يكون اختيارها لذلك نتيجة قوة يديها ، ورقة حسها.

ولنا وقفة أمام دعوة «هيلين» لإصدار مجلة للمكفوفين ، ونحن بدورنا نوجه الدعوة لكل المؤسسات المعنية أن تسارع بإنشاء مثل تلك المجلة للمكفوفين المثقفين بالوطن العربى ، على أن ترصد لذلك مخصصات كافية ، على أن يتولى الكتابة فى تلك المجلة متخصصون ممن تؤهلهم كفاءاتهم لذلك ، ولا بأس فى توظيف بعض من المكفوفين فى هيئة تحرير تلك المجلة ، وحبذا لو وزعت هذه المجلة مجاناً للمكفوفين ؛ لتكون مجلة لا تستهدف الربح ، بل تستهدف تثقيف المكفوفين وتطوير حياتهم.

ومن الواضح أن «هيلين» كانت تتمتع بخلفية تربوية عظيمة ، ولا عجب أن أشير إليها يوماً على أنها من أعلام الفكر التربوى ، فها هى تتحدث عن الوسائل التعليمية والمجسمات المستخدمة فى شرح مادة الجغرافيا ، ولقد سبقت العديد من التربويين فى الالتفات إلى الأطفال ذوى الاحتياجات الخاصة ، ودعت إل ضرورة تدريب المتعلمين على استراتيجيات التعلم وعدم تركهم دون تدريب ؛ لأن ذلك قد يؤدى إلى عدم تعلمهم ، أو تتناقص مستويات نجاحهم لعدم حصولهم على القدر الكافى من تفعيل مفهوم تعلم كيف تتعلم .

كما وجهت دعوة إلى الآباء لرعاية أبنائهم وإعطائهم الوقت الكافى ، بعيداً عن هموم العمل ومشاغل الحياة ، كما دعت الكبار لعدم مداهنة الصغار والتظاهر باهتمامهم بهم ؛ لأنهم يدركون ذلك ؛ فينعكس ذلك سلباً عليهم . يا لها من مربية عظيمة وخبيرة تربوية جليلة وناقدة ثاقبة للسلوك البشرى !!.

ولقد اشتملت أعمالها على دروس فى تاريخ الحركة النسوية الحقيقية وتعليم المرأة ، فالشخصيات اللائى قدمتها «هيلين» كانت تسعى نحو تنوير المرأة ؛ وتدعو إلى حقها فى الالتحاق بالجامعة والحصول على فرص الذهاب إلى المدرسة الثانوية بالمجان ، وهل هناك أسمى من أن يتمتع نصف سكان المعمورة على الأقل بأعلى مستويات التعليم ؟.

فإن كان الخالق عز وجل قد خلقهن كى يتعلمن ما يتعلمه الرجل ، فنحن نرى الآن الكثيرات من النساء فى جامعاتنا العربية وهن يتفوقن فى بعض الأوقات على

أقرانهن من الرجال الذين – ويالأسف – فقدوا حماستهم للتفوق.

إن مطالب النساء كانت عادلة وتحفظ للمرأة قدرها وعفتها وشرفها وحياءها الذى يزينها ، وحتى عندما دعت النساء إلى حرية ارتداء السراويل لم يكن الأمر يختص بحرية خلع بعض الملابس وكشف أجزاء من الجسد ، ولكن كان المطلب يختص بنوع الملبس الذى يغطى الجسد ، كما أن السروال الذى كن يطالبن به فى عصرها يختلف كلية عن سروال هذا العصر ، علماً بأن لفظة السروال الذى ورد فى مقالة «هيلين» "bloomer" يشير إلى السروال الفضفاض الواسع الذى يتم ارتداؤه أسفل التنوره القصيرة ، والسؤال الذى يتبادر إلى الذهن الآن : ترى هل ترضى «هيلين» كيلر وبطلاتها الثلاثة بما يحدث الآن من تجريد المرأة من حيائها وزينتها بدعوى ما يسميه بعضهم التحرر ؟

كما يلاحظ أن «هيلين» كانت تركز على الحقوق الأساسية الحقيقية للمرأة ألا وهى عدم النظر إليها نظرة دونية ، وإعطاؤها حرية التفكير والحوار ، وهذه مطالب عادلة للمرأة فى أى مجتمع أو ثقافة أو عقيدة ، وبناء عليه فقد تلاحظ فى أثناء ترجمة أعمالها أنها عندما تشير إلى الغائب تقتصر الإشارة على الضمير هو فقط ، وهى تختلف عن بعض النساء فى الوقت الراهن الذين يشيرون إلى الغائب باستخدام هى على اعتبار أن هذا حق للنساء مثلما هو حق للرجال ، والأكثر اعتدالاً منهن يقمن – ويطالبن الرجال – بكتابة هو أو هى "he / she" للمساواة بين الجنسين على اعتبار أن ذلك من حقوق المرأة ، وقد يتبادر للذهن السؤال التالى : لماذا لم تفطن «هيلين» لذلك ؟ هل لأن الحركة النسوية كانت فى بدايتها وقتئذ ومن ثم كان التركيز على القضايا الجوهرية الأساسية التى تعيد إلى المرأة كرامتها ، ثم تحول الأمر إلى البحث عن القضايا الأصغر فالأصغر ؟ عموماً تناولت «هيلين» دور المرأة فى تربية الأطفال من منظور فلسفى أوضح أهمية ذلك الدور فى بناء المجتمعات ورخائها ، وطالبت المرأة بالعمل بكل ما أوتيت من قوة على تثقيف نفسها ؛ بغرض نقل تلك الثقافة إلى أطفالها الذين سيحملون تلك الثقافة معهم فى رحلتهم فى كل مناحى الحياة.

ولم تنس «هيلين» التى حرمتها ظروفها أن تكون أما فى الحقيقة ، أن تلعب دور الأم لكل فتاة فى كل مكان وزمان فتنثر نور التفاؤل فى نفوسهن وتزرع فيهن كل مقومات الثقة بالنفس مؤكدة على أهمية العيش من أجل الآخرين ، كما يتضح فى أعمالها مقدار تدينها وربطها لكل فعل فى الحياة بالاقتراب من الله من جانب ، وتلبية دعواه من جانب آخر.

لقد فهمت «هيلين» النفس البشرية كأفضل خبراء التربية ، ففى أحد المقالات تحدثت عن ذوى الاحتياجات الخاصة ، وفى مقالة أخرى نراها تتحدث عن رياض الأطفال ، وهذا يعنى اتساع أفقها تربوياً ، واهتمامها بالنفس البشرية ، واستيعابها لأهمية مرحلة الطفولة فى بناء شخصيات سوية ، تنفع نفسها ووطنها والبشرية ، كما نجد «هيلين» تؤكد على أهمية بناء تقدير الذات عند الأطفال وضرورة تنشئتهم على الاستقلالية ، وذلك من خلال تدريبهم بأسلوب بسيط على الاعتماد على النفس منذ الصغر على أداء بعض الأشياء الشخصية ، واعتمدت «هيلين» على المنطق فى توجيه الكبار - سواء الآباء أو المعلمون - وذلك بإعطائهم أمثلة ونماذج مع ترك الفرصة لهم للتأمل فى تلك الأمثلة ، كما أنها فرقت بين الأسباب والأعراض ، ووجهت دعوة للكبار للبحث فى الأسباب التى تقف وراء الأعراض ، ومن ثم العمل على التعامل مع الأسباب من أجل إزالة تلك الأعراض.

وهكذا يتضح كيف تعاملت مع شقاوة الأطفال بالأسلوب الذى يسمى فى الوقت الحالى التفكير التأملى "Reflective thinking" وطالبت الكبار باتباع الأسلوب نفسه من أجل تنشئة تربوية أفضل للصغار.

عندما يحب المعلم مهنته ينعكس ذلك على مشاعره تجاه تلاميذه ، فيشاركهم آلامهم وأفراحهم ، ويتعمق التلاميذ فى دراسة يستشعرون فيها جهود المعلم وأحاسيسه، ومن ثم يتبادلان المشاعر الإيجابية مما ينتج عنه نتائج تعليمية وتربوية بناءة وفعالة ، وهذا ما حدث مع «هيلين» وعلق بذاكرتها حتى أنها تنصح الكبار بالاقتراب من الصغار والغوص فى أعماقهم بحثاً عن الدرر الثمينة.

وهذه المرأة الكفيفة الصماء لم تر الدنيا ولم تسمعها ، إلا أنها تستشعر الجمال

وتنفعل له وتهيم به ، كما أنها تستمع بجمال الدنيا حتى يزداد حبها وإيمانها بالله ، وتذكر نفسها وتذكرنا بنعم الله التى لا تحصى ، يا له من سلوك صوفى لامرأة ، ترضى وتسعد بما هو متاح لها ، حتى ولو كان سكونا عميقا وظلاما حالكا.

ولقد استشعرت «**هيلين**» شغف البشر بالمادة فى ذلك العصر ، ومن ثم أخذت تؤكد على ضرورة الاهتمام بالروحانيات التى بها تحيا الأمم وتزدهر الحضارات .

ولعلنا نقول هنا : ما أحوج العالم الآن لأمثال «**هيلين**» فالحياة المادية التى كانت تشكو منها فى ذاك الوقت أصبحت ماردا خارقاً مارقاً لا يتورع عن التهام أى شئ ، فالإبن يسعى لقتل أبويه ، والصديق لا يتردد فى الزج برفيقه فى بئر الأذى ، وكل هذا وذاك فى سبيل المال والجاه والقوة ، أما الباحثون عن الروحانيات وهدوء النفس فتطاردهم الحياة المادية وتلاحقهم بأسلحتها فتدمى أجسادهم من حراب الماديين ، وينزفون دون أن يسمح لأعينهم حتى بذرف الدموع ، ويسخر الماديون من أنينهم المكتوم ، ويوجهون إليهم الدعوة للانضمام إليهم دوماً ، ويظل الحال هكذا حتى تلاقى النفس المطمئنة ربها.

ونعود لحديثها عن الجمال ، لنرى كيف ترى هى الجمال ، وكيف أصدرت حكماً على أن شهر يونيو هو الأجمل بالنسبة لها ، فضربت لنا مثلاً من الواقع حتى نتخيل كيف يعمل الكفيف عقله كى يستمتع بالحياة ومحاسنها ، فأخذت ريشة ناعمة سطرت بها خطوطاً رقيقة ، وظللتها بغيوم حالمة ، فضربت لنا مثلاً آخر فى كيفية غوص الكفيف فى أعماق عقله الذى خلقه الله مضيئاً ومنيراً ؛ فشاهدت فى سنا العقل ما وصفته لنا وما عجزت عيناها المكفوفتان عن رؤياه ، ولا عجب فى ذلك فالله إن أرسل رسولاً أو بعث نبياً فهو يخاطب الألباب ، ولا يخاطب الحواس فالعقل نور إن سعى إليه الإنسان لا يحجبه عن شئ ، وإن أعرض عن الإبحار فى نور عقله، فلن يهديه إلى سواء السبيل عين ولا شفاه ولا أذن.

ولقد سبقت «**هيلين**» عصرها فكانت تنظر فى أعمالها إلى المستقبل ، وتساءلت عن شكل العالم عند قدومنا إلى الدنيا وشكله عند رحيلنا الحتمى عنها ، ولعل هذا يدعونا للتساؤل : هل نسعى لأن نكون مجرد كائنات تأكل وتشرب وتنام وتمتهن

مهنة ما تواظب على أدائها حتى وقت التقاعد ، ونستمر هكذا حتى يقضى الله أمره ؟ وكم منا لا تعدو حياته إلا ما سبق ذكره ؟ ومن منا يفكر فى ترك ولو شجرة تزين المكان الذى نحيا به أو يستظل بها المتعبون ؟ إذا كنا نفكر فى الحاجات البيولوجية والدراسة والعمل فقط فهذه أنانية منا أن تكون حياتنا متمركزة حول ذواتنا ، فمن الأفضل أن نسعى لتطوير ما وصل إلينا وتجويده ، وهناك الكثيرون ممن يفعلون ذلك فيقدمون للبشرية خدمات جليلة ، وهناك الكثيرون أيضاً الذين لا يريدون إلا أن يكونوا مستهلكين لأفكار ومجهودات بل وتبرعات الآخرين. ولعل الدعوة توجه إلى الجميع أن يسعى كل فرد لأن يكون منتجاً ولو لمشاعر نبيلة إن ضاقت ذات اليد ، وذلك أضعف الإيمان.

لقد أعطت «هيلين» فى أعمالها صورا حية لمرحلة المراهقة ، وكيفية انخراط الفتاة مع زميلاتها فى الحياة الجامعية ، ومشاعرها ما بين الحياء والتمركز حول الذات، والثقة فى الذات أحياناً وعدم الثقة أحياناً أخرى ، وهذا ليس حال المراهقات والمراهقين فقط ، فالبشر فى كل أعمارهم يعيشون أنماطا مختلفة من المراهقة ، ربما أشهرها المراهقة الوظيفية التى قد تصاحب أحد الكبار حينما ينتقل من مرحلة أو وظيفة إلى مرحلة أخرى ، سواء بمكان عمله ، أو فى مكان آخر جديد ، فيمر بالمشاعر التى وصفت بها «هيلين» حالة طالبات الفرقة الأولى بالجامعة ، فقد يشعرن بالوحدة فى مكانهن الجديد ، وقد يستغرين عدم اكتشاف الآخرين لمواهبهن التى يسارعن فى عرضها منذ الوهلة الأولى. وقد يتحدثن عن الآخرين ، ويستمر ذلك لفترة حتى يتخلصن من تلك المرحلة ، وينتقلن إلى مرحلة النضج الوظيفى ، ونحمد الله أن الترقيات أو التنقلات الوظيفية عند البشر محدودة نسبياً ؛ وإلا لطالت فترات المراهقة فى أعمارنا وتعددت، وما استمتعنا بأيام النضج الوظيفى ، وما شعرنا بحلاوة تأنيب الذات على ما اقترفناه فى لحظات المراهقة الوظيفية ، وتختلف مدة المراهقة الوظيفية من فرد لآخر فقد تكون لمدة أيام عند بعضنا وشهورا عند بعضنا الآخر ، ومن المحزن أنها قد تستمر مع فئة لسنوات يقترف فيها الإنسان ما يقترف فى حق ذاته أو فى حق الآخرين.

وعندما أصبحت فى سن السابعة والسبعين من عمرها ، كانت تتحدث بأسلوب فلسفى وهى تنظر إلى الوراء فترى هذا الكم الكبير من المعارف والسعى وراءها ، ولم تنس أن تنظر إلى الأمام فترسم الخطط المستقبلية ، كما يتضح تأثرها بسماحة الأديان وتعاليمها السماوية ودعوتها للمحبة والخير والإخاء ، وظهر جلياً حبها لله ، وعشقها لما قدره ، ورضاها بما أصابها ، كما ظهر تأثرها بالفلاسفة ورجال الفكر ، وحقيقة لم يكن تأثيرهم فيها مجرد كلمات عميقة ومؤثرة خطتها بيديها ، ولكنها ظهرت جلياً فى مذهبها الفكرى الذى انعكس فى الأهداف التى عاشت دوماً من أجلها ، وكانت خير داعية للأفكار النبيلة التى آمنت بها ، وعمقت مفهوم :

«من كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته »، وجعلت كل من يقرأ أعمالها لا يغفل عن رعاية المعاقين ولو بأقل جهد ، بل أعطت الأمل لكل إنسان أن يتناسى جوانب النقص فيه ، ويفعل كل ما يملكه من طاقات فى سبيل إسعاد ذاته والآخرين.

وكانت لها رؤى تظهر أنها وقعت فى غرام الظلام ؛ لأنه الرفيق والونيس الذى لم يفارقها لحظة ؛ فعشقته وبحثت عن متعته ، وابتلعت صعوبته ، وهضمت قساوته ، كما يغفر الحبيب زلات حبيبه ، بل ويعطيها تفسيراً إيجابياً يقنع به ذاته .

لقد تحدثت **«هيلين»** عن الظلام على أنه أساس الحياة وعمودها الفقرى ، فقبل النور كان الظلام ، وقبل الوجود كان العدم الذى هو الظلام ، ومأوانا جميعاً قبر ليس فيه إلا الظلام ، ولكنها تنتظر الضوء الذى يشرق بنور ربنا ، يوم ينعم الصابرون بنور الله ، ويعوض المحرومون بفضل الله وثوابه .

وتجلت أفكارها الفلسفية عندما تحدثت عن الأحلام التى تصبح حقيقة ، عندما عرضت نماذج من حياتها ؛ لتبرهن كيف حولت أحلامها إلى حقائق وواقع وسعدت بها، ودعت إلى حلم جديد لها ولغيرها من المكفوفين والصم ، كما لو كانت تناشد الكون أن يسعى لتحقيق هذا الحلم كما سعت هى (ونتمنى أن تكون ترجمة أعمالها استجابة متواضعة منا لتحقيق حلمها بمساعدة المكفوفين والصم على تذوق الجمال وتقبل القصور كما فعلت هى) فأعمالها نموذج يحتذى به ، وصبرها وإيمانها ترجمة

حقيقية لقول المولى عز وجل : ولسوف يعطيك ربك فترضى . ها هى ترضى بما أعطاها الله ، ومن عجب أن من منحوا ما حرمت منه يتبرمون ويتأففون ولا يرضون.

لقد أعطتنا السيدة كيلر درساً فى حب الجمال وتذوقه والاستمتاع به بدلا من تدميره فالأنانية كل الأنانية أن يقطف الإنسان وردة من روضها ليستمتع بها لدقائق، ويحرم الكثيرين من منظرها ورياها.

كما صبغت أعمالها برؤية إيمانية عميقة ، ولم ترض عن المفهوم الذى يقول : إن الشعور باقتراب الموت يهذب من سلوكياتنا ويجعلنا كائنات أكثر لطفاً ، وانتقدت ذلك مطالبة أن تكون رهافة الحس واللطف من سلوكياتنا الدائمة وليس لشعورنا بدنو الأجل فقط.

ومن الملاحظ إحساسها بقيمة وظائف الجسد والحواس ، ومطالبتها لنا بالاستخدام الأمثل لها، حتى أنها اقترحت اقتراحاً مبتكراً ، يقضى بإعطاء دروس للطلاب حول كيفية استخدام أعينهم والتوقف عند التفاصيل الصغيرة للأشياء من حولنا فى الطبيعة ؛ لكى نشعر بعظيم صنع الله وإدراكها أن العين هى مرآة الروح ، وكذلك استوقفنا شعورها بالحب العميق والامتنان لمعلمتها «آن سوليفان» ولكل من ساعدوها على معرفة العالم من حولها. أما أكثر ما أعجبنا فكان اهتمامها الشديد بالمتاحف وبالفنون والمسرح وبأعمال كبار الشعراء والرسامين واهتمامها بمظاهر الحياة الحديثة وبملابس السيدات وآخر صيحاتها ؛ مما ينم عن ثقافة ووعى لا ندرى من أين اكتسبتها تلك المرأة المدهشة.

وفى النهاية فقد نادت تلك المرأة الحكيمة بضرورة استغلال الإنسان أوقات الفراغ التى وفرتها لنا الميكنة الحديثة فى أعمال تسمو بالعقل والوجدان، كما أننا لمسنا فيها روح التعاون وتقديرها للعمل التعاونى وهى تؤكد لنا أن الشخص ذا الاحتياجات الخاصة مثلها يمكن أن يكون مفيداً لمجتمعه بقيامه بأدوار تناسب إمكاناته ، مما يجعلنا نقرر أن «هيلين» لم تكن بمعزل عن قضايا مجتمعها ، والتطورات التى تحدث فيه ، فلقد كان لديها قدر من الثقافة الاقتصادية والحس الواعى ، بما يؤهلها لأن تكون سيدة أعمال ناجحة .

وبعد ،،،،،،

فستبقى «**هيلين**» المعجزة شاهدا على قدرة الله وحكمته ، وعلى لطفه ورحمته، وستخرج علينا دوما من وسط ركام الصعاب والآلام ، منتفضة كطائر العنقاء الأسطورى ، نموذجا فريدا للصبر ، والإصرار ، والتحدى ، والعزيمة ، وقوة الإرادة ، وقهر المستحيل ، وستتجلى دوما فى داخلنا وفى ضمائرنا هاتفة : يا ربنا ، أنت الرحيم الرحمن ، ويا أيها الإنسان ، أنت خليفة الإله، سواك بيده ، ونفخ فيك من روحه ، فكن عبدا ربانيا ، وفتش عن ذاتك ، وفجر قدراتك ، وأطلق الإعصار ، وفجر النهار الكامن داخلك ، فأمام الإرادة والإيمان ، ينقشع اليأس ، وتتزلزل الصعاب ، ويلين المستحيل ، ويشرق الأمل .